



من وثائق الصراع داخل المنظمة

الماركسية اللينينية المغربية

إلى الأمام

الخط اليسراوي
العفوي الجديد:
من النزعة العمالية الاقتصادية
إلى
التصورية والفوضوية والعدمية

www.3Daout.info

الجزء الثاني

الخط اليسراوي
العفوي الجديد:
من النزعة العمالية الاقتصادية
إلى
التصورية والفوضوية والعدمية



منشورات موقع " 30 غشت "

www.30aout.info

من وثائق الصراع داخل المنظمة
الماركسية اللينينية المغربية "إلى الأمام"

الخط اليسراوي العفوي الجديد:
من النزعة العمالية الاقتصادية
إلى
التصفوية و الفوضوية و العدمية

المحاور

① الحلم و منظمة "إلى الأمام" و قضايا الحزب و الوحدة و الحركة الجماهيرية

② حول أزمة اليسار الجديد

③ إعادة البناء في مواجهة العفوية و الفوضوية

الحلم و منظمة "إلى الأمام" و قضايا الحزب و الوحدة و الحركة الجماهيرية¹

تقديم

تكتسي أطروحة الحزب لدى الحركة الماركسية اللينينية المغربية أهمية خاصة ، ذلك أن البعض اليوم ، في ظل النقاشات حول الأزمة و التقييم ، يريد أن يثبت وجود عناصر بروليتارية في نهج الحركة السياسي و الايديولوجي ، إنطلاقا

تنبيه: كل الهوامش المصاحبة لنص الوثيقة هي من وضع موقع "30 غشت".

1. عند طبع هذه الوثيقة ، تم اعتماد مخطوط أصلي مكتوب بخط صاحب الوثيقة. و لأن النص الأصلي لم يكن يحمل عنوانا ، و لم يكن موجه للنشر ، على الأقل عندما تم التوصل به في نهاية 1979 ، و رغم أن النص تم نشره فيما بعد ، في مجلة "الغد" المغربية ، و قام بإعادة نشره أحد المواقع الإلكترونية التقدمية ، و في كلا الحالتين حملت الوثيقة عنوانا واحدا ، فإننا قمنا بوضع عنوان آخر مستلهم من مضمون الوثيقة ، دون أن يحمل ذلك العنوان حكما مسبقا ، و ذلك حرصا على الأخلاق العلمية.

الوثيقة تنتمي إلى فترة 1979 ، حيث دار صراع قوي بين المدافعين عن الحلم و منظمة "إلى الأمام" و ثرائها الثوري ، و الداعين إلى حل المنظمات الماركسية اللينينية المغربية ، و الذهاب فرادى إلى الطبقة العاملة ، و ذلك انطلاقا من أن تلك المنظمات هي منظمات بوجوازية صغيرة ، لا تستطيع التجذر وسط الطبقة العاملة و لا بناء حزبها الثوري ، و كل إعادة لبنائها لن يقوم سوى بإعادة إنتاج تنظيمات بوجوازية صغيرة ، تحاول الهيمنة على الطبقة العاملة.

هكذا ، و بعد أطروحات الخط اليميني الإصلاحي ، المنكرة لأية شرعية تاريخية للحلم و منظمة "إلى الأمام" ، و الداعية إلى مواجهتها عبر التحالف أو الالتحاق بالاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية ، مما يسمح بالتجذر داخل الطبقة العاملة من خلال الانخراط في "جبهة القوى الديمقراطية و الثورية" بقيادة الاتحاد الاشتراكي ، ظهرت للوجود أطروحات أخرى تنكر هي الأخرى ثورية التنظيمات الماركسية اللينينية ، ناعتة إياها بالبرجوازية الصغيرة ، و مبعدة إياها عن أية علاقة بالطبقة العاملة ، و في منحي يسراوي ، دعا أصحابها إلى حل تلك المنظمات و الالتحاق بالطبقة العاملة كأفراد ، و بذلك أطلق على هذا التيار اسم التيار العفوي التصفوي و العدمي.

لم تكن مثل هذه الدعوات الأولى من نوعها التي عرفتها الحلم و منظمة "إلى الأمام" ، فقد عرفت فترة 1970 — 1972 ظهور أفكار و تيارات دعت إلى تشتيت المنظمات الماركسية اللينينية ، من خلال إرسال مناضليها إلى مجموعة من القطاعات الجماهيرية ، و ذلك بمبرر أن هذه التنظيمات بوجوازية صغيرة و يجب العمل على بلورتها ، بإرسال مناضليها إلى تلك القطاعات الجماهيرية كأفراد خارج أي تأطير للتنظيمات الثورية الماركسية اللينينية ، و استطاعت منظمات "إلى الأمام" و "23 مارس" التغلب على هذه التيارات. و بالنسبة لمنظمة "إلى الأمام" ، فقد شكلت الندوة الوطنية الأولى المنعقدة يومي 31 دجنبر 1971 و فاتح يناير 1972 ، منعطفا حاسما في القضاء على مثل هذه الأطروحات بالأجوبة التي قدمتها حول التجذر داخل الطبقة العاملة ، و دور الجريدة المركزية و القيادة المركزية ، و التأكيد على وحدة الحلم ، إلا أن الأفكار التي تبنتها الندوة الوطنية الأولى ، لم تكن كافية لاجتثاث جذور مثل هذه الأفكار العفوية ، و انتظرت المنظمة صدور وثيقة "عشرة أشهر من كفاح التنظيم ، نقد و نقد ذاتي" ، و ذلك في 20 نونبر 1972 ، لتقدم الرد الحاسم و الفاصل ، من خلال بلورة شعار "من أجل بناء منظمة طليعية و صلبة و راسخة جماهيريا" ، شعار مصحوب بمجموعة من الشروط اللازمة لتحقيقه (انظر الوثيقة على موقع "30 غشت").

هكذا ، عادت نفس الأفكار مرة أخرى للظهور ، خلال سنة 1979 ، في سياق وضع هو نفسه الذي مهد لظهور التيار اليميني الإصلاحي ، مع فارق أن الأولى حاولت ادعاء الثورية و الجذرية ، بكونها تدافع عن الطبقة العاملة و مشروعها الثوري.

و قد كان يقود هذا التيار كل من عبد الله زعزاع و عبد الفتاح الفاكيهاني ، و كلاهما كان عضوا سابقا في قيادة منظمة "إلى الأمام" ، و ذلك منذ الندوة الوطنية الأولى. عبد الله زعزاع كعامل و عبد الفتاح الفاكيهاني كطالب ، هذا الأخير التحق بالكتابة الوطنية للمنظمة بعد خروجه من السجن سنة 1973 ، بعد الحكم عليه بالبراءة في محاكمة الدار البيضاء في غشت 1973.

و بعد انتقال معتقلي "درب مولاي الشريف" ، مجموعة 26 في 16 يناير 1976 إلى السجن المدني (غبيلا) بالدار البيضاء ، و بعد ذلك بأيام أصدرت القيادة الوطنية بالسجن المدني "غبيلا" بالدار البيضاء قرار توقيف رفيقين من المنظمة ، من بينهما عبد الله زعزاع عضو اللجنة الوطنية للمنظمة ، و

من طرح مسألة الحزب البروليتاري من طرف هذه الحركة. ولقد إشتد فرع بعض الاتجاهات التي أعطت و لازالت تعطي على المستوى النظري موقعا جوهريا لمسألة الحزب في نهجها، خاصة منظمة " إلى الأمام " التي تبلور لديها خلال سنة 1972، مفهوم معين للحزب و نواته القائدة، منظمة المحترفين الثوريين، و التي ترى اليوم أن الطعن في التصورات التي بلورتها في هذه المسألة، هو الرجوع بالحلم إلى ما قبل نشأتها، بل إلى ما قبل 130 سنة من نضال البروليتاريا، و تجربة الحركة الشيوعية العالمية، و ذلك حين بدأنا نقدم بعض الانتقادات في هذا الصدد.

و حتى يكتسي هذا النقاش وضوحا لا بد منه منذ البداية، فإن مفهوم منظمة المحترفين الثوريين طرح من طرف لينين في الفترة ما بين 1902 و 1906 في عدة كتابات، و أصبح منذ التجربة البلشفية عمادا من أعمدة التنظيم الحزبي

ذلك لمسؤوليته عن اعتقال مجموعة من أطر المنظمة، من بينهم إدريس بن زكري، فؤاد الهيلالي، عبد الله الحريف و مصطفى التسماني و آخرون، بالإضافة إلى الإدلاء بالعديد من المعلومات حول المنظمة.

و قد صادق على هذا القرار، مجلس الأطر لمنظمة "إلى الأمام" بالسجن المدني بالدار البيضاء، مع تحفظ واحد. و قد وافق المعنيان على قرار التوقيف. و بعد محاكمة الدار البيضاء و صدور أحكامها في فبراير 1977، و بعد انتقال المعتقلين السياسيين إلى السجن المركزي بالقنيطرة يوم 7 مارس 1977، و إلى حدود مارس - أبريل 1978، ظل عبد الله زعزاع ملتزما بقرارات المنظمة، التي كرستها من جديد قرارات يونيو 1977، حيث اعترف الرفيق بأخطائه و قدم نقدا ذاتيا عنها، إلا أن هذا الوضع سيتغير في منتصف 1978، و خاصة سنة 1979، حيث بدأت تتصاعد حملات الهجوم و العداء للمنظمة، و تنظم ملتقيات لذلك بسجن العلو بالرباط، حيث تجمع خليط من الأطر القديمة للحلم، و عناصر أخرى انتهازية منتمة للفصائل الماركسية اللينينية. هكذا انطلقت حملات اتهام المنظمة بالبيروقراطية و الستالينية و الهيمنة إلى غير ذلك من النعوت. في هذه اللحظة بدأت مواقف عبد الله زعزاع تتغير في اتجاه الابتعاد عن خط المنظمة الثوري، إلى أن ظهرت بشكل سافر من خلال مساهمته في بلورة و مشاركته في "بيان التجميد للعضوية من منظمة "إلى الأمام" الصادر في يونيو 1979، و الذي وقعه 52 مناضلا. و تميز عبد الله زعزاع بإصداره لوثيقة "الحد الفاصل بيننا"، التي تعتبر الوثيقة التأسيسية لهذا التيار التصفوي، الذي بعد توقيع أعضائه، و هم أغلبية الموقعين على بيان التجميد للعضوية، أصدروا توضيحا يعلنون من خلاله، عن هويتهم السياسية و الإيديولوجية، و يفترون مع اتجاه المشتري بلعباس و عبد الله المنصوري اليميني، الذي كان هو الآخر قد وقع بيان التجميد للعضوية من المنظمة، و كلاهما "التوضيح" و "الحد الفاصل بيننا" كانت قد أصدرتها مجلة "آفاق" الصادرة آنذاك بفرنسا، في عدديها 3/4 و العدد 5. و من المعروف أن مجلة "آفاق" كان يصدرها مجموعة من العناصر الانتهازية، التي انقطعت علاقة المنظمة بها، منذ 1976 بالنسبة للبعض، و عادت للظهور في أجواء الصراع داخل المنظمة، و محاولة استثماره لأغراض انتهازية.

أما عبد الفتاح الفاكيهاني، عضو الكتابة الوطنية للمنظمة إلى حدود اعتقاله في حملة دجنبر 1975. مارس 1976، فقد انضم إلى الثنائي عبد الله المنصوري و المشتري بلعباس ليشكلوا خلال تواجدهم بالسجن المدني "عين بركة" بالدار البيضاء، ثلاثيا يمينيا واجه الخط الثوري للمنظمة، قبل و إبان محاكمة الدار البيضاء في يناير- فبراير 1977.. و بعد الانتقال إلى السجن المركزي بالقنيطرة، في مارس 1977، و بعد نقاش مستفيض معه، انتهى بقبوله قرارات يونيو 1977، و التي أوقفته من المنظمة بسبب مسؤوليته في درب مولاي الشريف عن مجموعة من الاعتقالات التي مست المنظمة، الشيء الذي أدى به إلى الانفصال عن باقي المجموعة الثلاثية. و قد ظل عبد الفتاح الفاكيهاني ملتزما بقرارات المنظمة و مواقفها إلى حدود منتصف 1978، حيث بدأت مواقفه تتغير نحو اتجاه عفوي فوضوي، سيعبر عن نفسه لاحقا، خلال و بعد صدور بيان يونيو 1979 ("بيان التجميد للعضوية..."). لقد استطاع هذا التيار التصفوي أن يجر إلى صفوفه العديد من المناضلين المنتمين للتنظيمات الثورية شبه الجماهيرية، و التي كانت تشكل قاعدة أساسية للتيار الثوري، الشيء الذي لم يستطع التيار اليميني تحقيقه، مستغلا في ذلك الفراغ الذي تركه صراع الأطر الثورية ضد الثلاثي اليميني الجديد الممثل في: أبراهام السرفاتي و بلعباس المشتري و عبد الله المنصوري و أتباعهم، و قد كان أحد أسباب هزيمة الخط الثوري عند انطلاق سيرورة الصراع ضد الخط التحريفي الجديد، بعد انتهاء الصراع ضد الثلاثي اليميني. و بعد صدور قرارات 12 نونبر 1979، عرف هذا الاتجاه التصفوي حالة من التشتت ثم الانقراض حيث تخلى العديد من أعضائه عن الفكر الماركسي اللينيني، و البعض الآخر عن الفكر الماركسي، و تبنى الآخرون خطوطا إصلاحية جسدها بالالتحاق بصفوف الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية بعد خروجهم من السجن، و ظل آخرون على خط ديموقراطي و انتهى المآل بآخريين إلى التخلي عن أي نضال، أما زعيم التيار فتحولا إلى، إما إلى تبني فكر الثورة البورجوازية الفرنسية، أو العمل في المجتمع المدني خارج أي عمل سياسي (حالة عبد الله زعزاع) أو تبني فكر ديموقراطي إصلاحية بدون تبعات سياسية (حالة عبد الفتاح الفاكيهاني). أما حلم الذهاب إلى الطبقة العاملة فقد ذهب أدراج الرياح.

من وثائق الصراع داخل المنظمة الماركسية اللينينية المغربية "إلى الأمام" الخط اليسراوي العفوي الجديد: من النزعة العمالية الاقتصادية إلى التصفية والفوضوية والعدمية

بالنسبة للحركة الشيوعية العالمية ، إلا أن هذا لا يعني بالنسبة للماركسيين اللينينيين ، تخليهم عن مهمة التطوير الدائمة ، التي يمكن أن تمس هذا المفهوم أيضا ، إذا ما أثبت تطور النضال السياسي الثوري البروليتاري ضرورة ذلك. لكن المشكل الراهن بالنسبة لنا لا يرقى الى هذا المستوى ، وإنما يتمحور حول موقع هذا المفهوم لدى الحركة الماركسية اللينينية ، و نهجها السياسي العام من خلال التجربة ، و إذا كانت مسألة الحزب نقطة التقى حولها كافة الاتجاهات داخل الحزب ، إلا أن منظمة الى الأمام كانت الاتجاه الوحيد الذي أولى لها أهمية خاصة ، و قام ببلورة تصورات مدققة حولها². و لقد تم تسيير ذلك عبر أطروحات سياسية و نظرية سنحاول التعرض لبعضها و ذلك كالتالي:

إعتبرت منظمة الى الأمام ، أن الحركة الماركسية اللينينية تشكل النواة الأولى لحزب البروليتاريا الثوري المنشود³.

2. هذا الطرح غير دقيق ، فقد كان لكل اتجاه داخل الحركة الماركسية- اللينينية المغربية تصوره ، فالخلافات بين منظمة "إلى الأمام" و "23 مارس" برزت منذ 1972 ، و استمر ذلك خلال 1973-1974 ، و تميزت منظمة "لخدم الشعب" باتجاه شبه ماوي له أطروحات أخرى. (للزيد من الاطلاع انظر "تقرير 20 نونبر 1972" ، "الوضع الراهن و المهام العاجلة..." ، "لبن الحزب تحت نيران العدو" ، "الندوة التحضيرية للقطاع الطلابي" ، "من أجل خط ماركسي لينيني..." ، و كل هذه الوثائق منشورة على موقع "30 غشت").

3. قام الكاتب بعزل الأطروحة الأمامية عن مجموعة من الشروط صاحبت الشعار المركزي: "من أجل منظمة طليعية صلبة و راسخة جماهيريا". و قد جاء في وثيقة "10 أشهر من كفاح التنظيم..." ما يلي من الشروط المصاحبة لبناء منظمة المحترفين الثوريين:

"و سنعيد في هذا التقييم بناء المحاور الرئيسية التي يجب أن تستند عليها الانطلاقة الجديدة لتنظيمنا نحو بناء منظمة ثورية صلبة :

أ. منظمة ثورية مهيكلية من المحترفين الثوريين ، منظمة الشيوعيين الذين ينظمون و يكرسون حياتهم و عملهم اليومي للثورة ، ينبثقون من النضال الجماهيري و يشكلون طليعته ، على هذا الأساس يتحدد أعضاؤها و تتحدد مقاييس استقطابهم. منظمة ثورية تندمج بحركة الجماهير ، و تعمل على بلورة القوى المتقدمة من حركة الجماهير في كل مرحلة.

ب. منظمة ثورية تستند على الدور الطليعي للبروليتاريا في الخط و الممارسة ، و تضع مهمة التجذر داخل الطبقة العاملة في مقدمة كل المهام ، من أجل بناء الطليعة البروليتارية ، و بدون إنجاز هذه المهام "فإن تنظيم المحترفين الثوريين قد يصبح ألعوبة و مغامرة و مجرد شعار بدون مضمون" كما يقول لينين ، منظمة ثورية تستعمل نظرية البروليتاريا: الماركسية اللينينية في تحليل الواقع الملموس لبلادنا ، و خوض نضال حازم ضد مختلف الإيديولوجيات البرجوازية.

ت. منظمة ثورية تستند على المركزية الديمقراطية في ديناميتها الداخلية ، في جدلية القيادة و الخلايا و تستمد حيويتها من جدلية المنظمة و الجماهير ، منظمة مبنية على وحدة الإرادة و وحدة الفكر و الممارسة الجماعية ، مركزية لبناء وحدة متينة سياسية و إيديولوجية و تنظيمية و تركيز التنظيم كبلورة للقوى الطليعية للجماهير ، و ديمقراطية تفتح مجال المبادرة و الانتقاد داخل التنظيم.

ث. منظمة ثورية ذات قيادة صلبة و متينة ، قادرة على بناء الخط السياسي و ضمان تطبيقه في كل مرحلة ، و تطوير ممارسة التنظيم ، و قدرة على ضمان الوحدة السياسية و الإيديولوجية و التنظيمية ، و على نهج المركزية الديمقراطية داخل التنظيم.

ج. منظمة ثورية يلتزم أفرادها بالانضباط الصارم على كافة المستويات ، انضباط الرفاق للخلايا ، انضباط الأجهزة الدنيا للأجهزة العليا ، و بالممارسة الدائمة للنقد و النقد الذاتي جماعيا و فرديا ، داخليا و أمام الجماهير.

ح. منظمة ذات خط سياسي سديد ، ينبع من الاستيعاب الدائم لخصائص الوضع ببلادنا و تطوراتها ، و القدرة على استعمال المنهج الماركسي- اللينيني في تحديد هذا الخط ، خط سياسي يستند على تطوير حركة الجماهير الثورية و السير على رأسها ، و في مقدمتها الفلاحين الفقراء و شبه البروليتاريا و مجموع قوى الشعب الثورية ، بطليعة البروليتاريا و حزبها الطليعي ، نحو آفاق الحرب الشعبية ، و دمج العنف الثوري بمسيرة حركة الجماهير نحو الحرب الشعبية.

خ. منظمة ثورية تساهم بصفة فعالة في وحدة الماركسيين اللينينيين ، مساهمة تنبني على حصيلة نضال المنظمين الثوريين و مكتسباتهما داخل الحركة الجماهيرية ، من أجل منظمة ماركسية-لينينية موحدة نحو بناء الحزب الثوري".

ونقرأ في الجزء الخاص بالقرارات التنظيمية ، ما يلي:

"استنادا إلى كل الخلاصات الأساسية السابقة فإن ل.و.(المقصود هنا اللجنة الوطنية) في إطار الانطلاقة الجديدة للتنظيم تذكر مجموع الرفاق بأن المهام التي حددتها الندوة الوطنية لازالت مطروحة للإنجاز من طرف مجموع منظمنا ، و هذه المهام هي :

من وثائق الصراع داخل المنظمة الماركسية اللينينية المغربية "إلى الأمام" الخط اليساري العفوي الجديد: من النزعة العمالية الاقتصادية إلى التصوفية و الفوضوية و العدمية

• إن مهمة الحملم هي بناء هذا الحزب ، و ذلك انطلاقا من تشييد منظمة صلبة للمحترفين الثوريين تشكل النواة القائدة للحزب⁴.

• إن تشييد منظمة للمحترفين الثوريين ، يمر عبر الاعتماد على المقدمة التاكتيكية ، الشببية المدرسية التي تشكل المثقف العضوي للجماهير الشعبية ، و التي ستفرز أطرا متمرسة على النضال السياسي الثوري ، تحمل فكر و إيديولوجية البروليتاريا و تنقله للطبقة العاملة و الفلاحين و باقي الجماهير الشعبية⁵.

• و اعتبرت منظمة الى الأمام أخيرا أن وحدة الحملم خطوة ضرورية على طريق بناء هذه المنظمة و الحزب.

- التجذر داخل الطبقة العاملة و تكوين أطر بروليتارية.

- التوحيد

- إعداد الاستراتيجية الثورية.

- الجريدة.

و في مقدمة الشروط الأساسية لإنجاز هذه المهام العظيمة ، بناء التنظيم بناء قويا و صلبا انطلاقا من الأسس المطروحة في مقدمة هذا التقرير ، و هذه المهمة الأساسية تتطلب عملا دائما و مجهودا أكبر من طرف كل الرفاق لضرب كل المسلكيات البرجوازية داخل التنظيم ، من ليبرالية و تهاون من أجل بناء تنظيم مركزي-ديمقراطي ، و بناء قيادة متينة ، كما أن الأسس تتبلور من أجل بناء منظمة ماركسية لينينية موحدة ، و هذا البناء حاسم في إنجاز مهامنا الثورية ، و إن بناء تنظيمنا بناء ثوريا يشكل عملا أساسيا في هذا الاتجاه ، في الوقت الذي تتحدد و تتقدم فيه شروط مد ثوري جديد ، الشروط الموضوعية و الذاتية لمرحلة أعلى في الكفاح الجماهيري. إن شوطا هاما قد قطعناه في إنجاز هذه المهام ، إلا أن عملا أكبر لازال ينتظرنا من أجل إتمامها. و أن ل.و. ستعمل على توفير كل الشروط لمواصلة إنجازها ، و هي تدعو كافة الرفاق إلى الالتفاف حول هذه المهام بحماس أكبر و المثابرة الدائمة لتحقيقها في شروط المرحلة الجديدة".

و لتطبيق المواد الخمس (المركزية الديمقراطية ، مبدأ القيادة الجماعية ، مبدأ الانضباط البروليتاري ، مبدأ النقد و النقد الذاتي ، و بناء التنظيمات الثورية شبه الجماهيرية) من الفصل الأول ، المبادئ التنظيمية ، طرح النظام الداخلي للمنظمة في المادة السادسة شروطا ضرورية لذلك ، و تتمثل فيما يلي:

المادة السادسة :

"يتطلب التطبيق الحي لهذه المبادئ توفير الشروط الخمس التالية :

1) تدعيم الطابع البروليتاري للمنظمة و ردها بالعناصر الطليعية الصلبة من العمال و الفلاحين الفقراء و المتوسطين ، و تثقيفهم تثقيفا نظريا عاليا ، و تطوير مبادراتهم و فتح فرص الاحتراف الثوري أمامهم بالدرجة الأولى ، و إعطائهم الأولوية في تحمل المسؤوليات داخل المنظمة ، و ذلك من خلال العمل على غرس جذور المنظمة في صفوف البروليتاريا و الفلاحين و مجموع الجماهير الكادحة ، و تعزيز مضمونها الطبقي باضطراد.

2) التثقيف النظري الشديد و العمل المتواصل على دراسة الماركسية-اللينينية و روحها الحية ، و اكتساب القدرة على استعمالها كأداة للتحليل الملموس ، و النضال ضد كافة أشكال الإيديولوجية البرجوازية و الإقطاعية و الاستعمارية الجديدة ، و أشكال الجهود العقائدي و التجريبية و الانتقائية ، و بصورة خاصة التحريفية المعاصرة

3) التطبيق المتواصل لسياسات المنظمة و خططها المرسومة و تصفية أشكال الممارسات الليبرالية و الذاتية و الانعزالية.

4) الإعتناء بالتنظيمات الثورية شبه الجماهيرية و الجماهيرية و تطويرها و تمثينها بشكل دائم ، و إحكام روابط المنظمة معها.

5). التطهير المستمر للمنظمة و الحفاظ الدؤوب على نقاوتها الثورية ، و ذلك بنبذ العناصر المتفسخة و المرتدة و المنحلة و العدمية الحيوية ، و تعويضهم بالعناصر المتوثبة ، و تجديد دماء المنظمة باستمرار".

4. هناك عزل للطرح عن مضمونه الحقيقي.

5. هذا الربط بين منظمة المحترفين الثوريين و مفهوم المقدمة التكتيكية ، يقوم على تشويه للأطروحة ، من خلال الخلط بين الشببية المدرسية ، كحركة ، و بين الأطر الثورية التي تفرزها هذه الحركة ، و هي بالمناسبة أطر شيوعية مستعدة للذهاب للطبقة العاملة أو الفلاحين ، أما الشببية المدرسية ، كحركة ، ليس عليها ذلك ، و تنحصر مهامها في النضال من أجل المطالب الديمقراطية و الثورية للحركة. إن الطرح الأمامي يميز بين الحركة الطلابية ، التي يمكن تصنيفها كقوة بورجوازية صغيرة ، لكن مع تسجيل ملاحظة أساسية ، و هي وصول الآلاف من أبناء العمال و الفلاحين و الكادحين إلى

و إذا كانت هذه هي الأطروحات النظرية السياسية و الايديولوجية التي بلورتها الى الأمام خلال مسيرتها ، و على الخصوص منذ 1972 في مسألة الحزب ، فماذا كانت تجربة الحلم و ضمنها منظمة الى الأمام على مستوى الممارسة في ظل الصراع الطبقي ؟

لقد ارتبطت هذه التصورات حول الحزب ، بتعامل ضيق من طرف الحلم⁶ ، مع الحركة النضالية للجماهير ، يقوم على عملية الفرز بين مناضلي الشعب ، بهدف واحد و وحيد ، هو استقطاب العناصر المتحمسة للاحتراف الثوري ، و بالتالي لم تكن تعطي هذه الحركة أهمية للنضال الجماهيري إلا من زاوية تزودها بالأطر ، و ذلك في ظل عملية انتقاء نخبوية ، تتخذ فيها المستويات العليا الموقع الرئيسي من الإهتمام على المستوى التنظيمي ، و لا تشكل المستويات الدنيا سوى مرحلة إنتقالية و تدريبية فقط⁷.

و هكذا فإن عملية تأطير الجماهير ، لم تكن مطروحة في الواقع الملموس بالنسبة للمحاولات التي ارتبطت بتجربة الحلم ، في مجال النشاط وسط التنظيمات الجماهيرية ، فلقد تميزت بإخضاع هذه التنظيمات للتوجيه المباشر للحلم: كما هو الحال بالنسبة لأوطم و ن و ت (النقابة الوطنية للتلاميذ)⁸ ، أما التنظيمات الشبه جماهيرية ، فاتخذت أشكالاً معقدة جدا ، و مستويات متعددة على نمط المدارس البرجوازية ، ينحصر هدفها الوحيد في الإستقطاب للمنظمة المركزية⁹. إن الخلط بين العمل السياسي الثوري و العمل النقابي الثوري ، كان من نتائج هذا الفهم لمسألة التنظيم و منظمة المحترفين الثوريين. و لقد نتج عن هذا النهج ، أن أطر و مناضلي الحلم ، كانت تنتقل تدريجيا من الارتباط العضوي

الجامعة ، ابتداء من 1968 ، الشيء الذي شكل أرضية من حيث الأصول الاجتماعية للوافدين الجدد ، لظهور التيار الثوري داخل الجامعة ، و خاصة التيار الماركسي اللينيني. ثم إن الحركة التلاميذية لا يمكن تصنيفها ضمن البورجوازية الصغيرة ، لأن أغلبها آنذاك من أبناء الكادحين ، و غالبا ما كانوا يتحولون إلى عمال أو عمال زراعيين ، أو تقنيين عمال في الصناعة أو الزراعة في أحسن الأحوال ، و يشكل التلاميذ الغالبية العظمى من الشبيبة المدرسية ، و قد تم تصنيفهم ضمن أشباه البروليتاريا. أما استعمال "المثقف العضوي" للتعبير عن علاقة الشبيبة المدرسية بالجماهير الأساسية ، فقد كان خطأ في استعمال المفهوم ، لكنه كان محدودا و تميز به بعض الرفاق لا أقل و لا أكثر و منهم أبراهام السرفاتي.

6. هناك تعميم لا يفيد التحليل الموضوعي ، فالتنظيمات الثلاث للحلم كانت مختلفة على هذا المستوى ، و بالنسبة ل "إلى الأمام" فالإتهام بالنزعة "الاستقطابية" في علاقتها بالجماهير ، فمجانبا للصواب ، و قد يكون العكس هو الصحيح ، كما هو الحال بالنسبة للفترة الممتدة من 1970 إلى 1972.

7. إن ادعاء التعامل الضيق مع الحركة الجماهيرية ، بهدف واحد و وحيد ، و هو استقطاب العناصر المتحمسة للاحتراف الثوري ، عبر عملية انتقاء نخبوية ، تتخذ فيها المستويات العليا الموقع الرئيسي من الإهتمام على المستوى التنظيمي ، و لا تشكل المستويات الدنيا سوى مرحلة إنتقالية و تدريبية فقط ، فبالإضافة إلى كونها تشوبها لمواقف المنظمة ، فهو لا يقوم على أي أساس أو حجة ، و قد أشرنا إلى خلافه من خلال فقرات بعض الوثائق المذكورة أعلاه. فالمعروف عن الحلم عموما ، هو اهتمامها بحركة الجماهير النضالية ، حد التطرف أحيانا. لعل الكاتب سقط في نظرة ذاتية ، لكونه كان عضوا في إحدى التنظيمات الثورية شبه الجماهيرية ، و اكتشف مع غيره وجود تنظيم مركزي وراء كل التنظيمات الثورية شبه الجماهيرية ، و قد قامت كل التيارات الإنتهازية اللينينية أو اليسراوية باستغلال ذلك لاستقطاب المناضلين ، تحت شعار كاذب "الديموقراطية و المساواة".

8. إشكالية التوجيه المباشر للحركة الجماهيرية ، أو لمنظماتها الجماهيرية ، فقضية فيها نقاش ، و وجهات نظر داخل الحركة الشيوعية العالمية ، و ليس هنا مكان مناقشتها.

9. الطرح الذي يقدمه الكاتب حول التنظيمات الثورية شبه الجماهيرية ، من منظور أمامي ، لا علاقة له بالحقيقة ، فلم تكن تلك التنظيمات مجرد فضاءات للاستقطاب للمنظمة المركزية كما يدعي الكاتب ، فهي بالإضافة إلى هذا ، كانت مدرسة لتدريب و تكوين الدماء الجديدة من المناضلين الذين تفرزهم الحركة الجماهيرية من داخلها ، بما يعني انخراطهم الدائم إلى جانبها و الدفاع عن مطالبها و حقوقها و مكتسباتها ... بل و قيادة نضالاتها ، ثم إن منظمة "إلى الأمام" كانت تميز بين التنظيمات الثورية شبه الجماهيرية التابعة لها مباشرة (حلقات ، لجان ، لجان أساسية) و تلك المرتبطة بها من خلال العلاقة مع منظمة "23 مارس" مثال "الجهة الموحدة للطلبة التقدميين" (انظر وثيقة "الندوة التحضيرية للقطاع الطلابي").

بالجماهير في مواقعها النضالية ، الى موقع العزلة عنها في ظل السرية و الإحتراف. و بدل أن تعرف الحركة تقدم سيرورة إدماج مناضليها الثوريين ، حدث عكس ذلك ، بحيث أنه بدل عملية البلترة التي كان يسعى إليها مناضلوها ، الذين أفرزتهم الشبيبة المدرسية ، حدثت عملية البرجزة للأطر النادرة التي كانت تنتمي للطبقة العاملة ، إذ تم عزلهم عن مواقعهم¹⁰ ، و هكذا لم تكن تشكل الحملم طوال تجربتها و لحد الساعة ، سوى مجموعة من التنظيمات الثورية ، لا توجد بينها و بين حركة الجماهير أية ارتباطات عضوية ، خارج بعض التأثير في صفوف الشبيبة المدرسية¹¹ . إن التجربة تبين فشل اعتماد الحملم على الشبيبة المدرسية ، من أجل حل مشكلة الأطر ، و من دلائل هذا ، التراجعات الهائلة ، التي عرفتها هذه الحركة في صفوفها منذ انحسار المد النضالي في حركة الشبيبة المدرسية سنة 1972¹² ، بالإضافة الى طبيعة الأطر التي استخلصتها الحملم من هذه الشبيبة ، و التي لا يمكن اعتبارها بأي حال من الأحوال ، أطرا بروليتارية¹³ ، و لم تتمكن الحملم من إنجاز عملية توحيد فصائلها ، و لكنها عرفت منذ 72 ، إلى اليوم سيرورة انشاقات و تشتت واسعة¹⁴ . فماذا يعني هذا ؟ إن التنظيم الذي بنته "إلى الأمام" و تنظيمات الحملم عموما ، لم تكن تنظيمات للمحترفين الثوريين ، و لا أنوية بروليتارية ، و إنما كانت مجموعة هياكل حرفية مغلقة ، ارتبطت أساسا بالشباب المدرسي ، و برزت هشاشتها أمام أجهزة القمع ، و ظلت الإعتقالات تحطمها في الأعماق مرات عديدة ، و إلى يومنا هذا. و هكذا يبقى علينا اليوم ، تحليل هذه الأطروحات و الممارسات ، حتى نعطي للواقع الذي تعرفه الحملم ، مضمونه الحقيقي و دلالاته الطبقية ، في واقع الصراع الطبقي ، و هذا هو الغرض من هذا الموضوع ، الذي لا يدعي لنفسه اكتمال

10. إن الخلط بين العمل السياسي الثوري ، و العمل النقابي الثوري ، و الذي ميز إلى حد ما تجربة الحملم خلال 1970 - 1972 ، قد تقلص بالنسبة لفترة 1974-1972 ، لا يمكن رده إلى فهم فقط لمسألة التنظيم ، و خاصة لمسألة الاحتراف الثوري ، بل يعود إلى خط العفوية خلال 1970-1972 ، ثم استمرارية لدى القيادة السياسية ، لفهم للسياسة يتمحور حول ضرورة الحضور السياسي في كل مناسبة و حين و في مقدمة المشهد السياسي ، للقيام بعمليات سياسية ذات صدى مباشر ، و هذا المنظور البورجوازي الصغير ، الموروث عن أحزاب الحركة الوطنية ، بما فيها الحزب الشيوعي التحريفي المغربي ، و هذه السيئة ما زالت مستمرة إلى يومنا هذا ، و تطبع سلوك أغلب المناضلين الماركسيين اللينينيين ، و عموما لا يمكن مناقشة هذه الأطروحة خارج الخط السياسي لكل تنظيم ماركسي لينيني.

11. تقييم ذاتي لا أساس له ، و لعل الكاتب كان جاهلا بالتجربة.

12. هناك مرة أخرى جهل بالحقائق: ففي 1970-1972 ، كان خط العفوية سائدا داخل منظمة "إلى الأمام". و إذا كانت فترة 1972-1974 قد تميزت بالجزر داخل الشبيبة المدرسية ، فلم يكن هذا واردا بالنسبة للحركة الجماهيرية. و ارتكبت المنظمة أخطاء فيما يخص الشبيبة خلال 1972-1973 ، لكن تم تصحيحها خلال 1974 ، و فيما يخص التراجعات ، فقد كانت قليلة ، و هي نتاج عملية فرز بين المناضلين الثوريين الحقيقيين ، و العناصر الانتهازية الملتحقة بالحركة خلال بدايتها ، و ذلك مع اشتداد القمع الرهيب آنذاك ، و فترة 1972-1974 ، فقد مثلت عموما أوج ما وصلت إليه المنظمة في علاقتها بالحركة الجماهيرية ، و هو أمر يعترف به حتى زعيم اليمين الجديد المشتري بلعباس في استجوابه مع جريدة "الأحداث المغربية" في سلسلة "أقصى اليسار".

13. بالنسبة لسؤال هل الأطر المنبثقة من الشبيبة المدرسية أطر بروليتارية؟ لا شك أن للكاتب فكرة واحدة ، هي البحث عما يساند طرحه المعادي للتنظيم الماركسي اللينيني ، الذي لا يمكنه حسب زعمه أن يرتبط بالطبقة العاملة و لا و لا و لا... إن اختزال "بروليتارية" في انتماء إلى العمال فقط هو نزعة عمالوية ، فماركس و إنجلز و لينين ، هم قادة بروليتاريون بل معلمون لها ، مع أنهم لم يكونوا عمالا ، ثم إن المنظمة الثورية الماركسية- اللينينية ، هي منظمة شيوعية يخفي فيها الفارق بين المثقف الثوري و العامل الطليعي الثوري ، فكلاهما شيوعي ، و تجمعهما مبادئ الأممية الشيوعية و المفهوم البروليتاري للعالم.

14. وراء فشل وحدة فصائل الحملم و التشتت الذي تعرضت له ، هناك عوامل كثيرة ، و ليس عاملا واحدا ، و لا شك أن من بينها ، ضعف إنجاز مهام التجذر داخل الطبقة العاملة و الفلاحين ، و قد ساعدت على ذلك عوامل أخرى مثل القمع الرهيب ، الحلقية و الخلافات و غيرها.

الوضوح أو امتلاك الحقيقة ، وإنما هو مساهمة في طرح مجموعة من الإشكالات ، كمشروع للبحث و التحليل ، و هي محط للنقد و الصراع .

I. كيف نشأت الحملم و ماذا تمثل اليوم؟

إن تجربة الحركة الشيوعية العالمية ، و المبادئ العامة النظرية في الماركسية اللينينية ، تحدد بوضوح ، أن النواة لحزب البروليتاريا ، تتشكل من العناصر الطليعية ، كفاحيا و سياسيا ، و إديولوجيا ، في صفوف الحركة العمالية ، و ليس مجموعة من المثقفين البرجوازيين الصغار ، المتمرسين في الكفاح السياسي الثوري ، و المتبنين لبعض الحقائق العامة للماركسية اللينينية ، من الزاوية الفكرية أو اللفظية¹⁵ ، و في غياب حزب البروليتاريا ، لا يمكن لأي مثقف ثوري برجوازي صغير ، لم يعرف سيرورة الانصهار في بوتقة الحركة العمالية ، و بارتباط عضوي بها ، و لم تفرزه الحركة العمالية كأحد قادتها الثوريين ، أن ينصب نفسه ممثلا لها أو معبرا عن مصالحها¹⁶ ، و هذا وحده لا يكفي ، لأنه في واقع الصراع الطبقي ببلادنا و خصوصياته ، تتبلور النواة البروليتارية ، بارتباط مع تبلور الخط البروليتاري ، الذي يجسد القيادة الفعلية للطبقة العاملة ، لباقي طبقات و فئات الشعب ، فهل هذه العناصر تتوفر في الحملم و لو بشكل جنيني؟

أ. إن الحركة الماركسية اللينينية لا يمكن لها أن تكون إلتاجا للصراع الطبقي ببلادنا. و لقد برزت هذه الحركة في ظل شروط طبقية محددة ، و ذلك وطنيا و قوميا و عالميا: و بدون الغوص في تحليل معمق لنشأة هذه الحركة ، لا بد من تسجيل ميزتين:

- إن نظرة عامة على تطور الأوضاع بعد 65 ، تبرز النهج الذي سارت عليه الطبقة أو الطبقات السائدة بالمغرب ، و الذي لم يترك هامشا للنشاط السياسي للأحزاب التقليدية داخل بنية النظام. و فرض عليها أن تقف في صف المعارضة ، من خارج هذه البنية ، مما وفر الشروط للكشف عن عقم خطها الإصلاحية ، و أدى إلى تقليص مواقع التأثير السياسي و الايديولوجي من طرف هذه القوى على الجماهير الشعبية.

- إن مرحلة ما بعد 67 ، جسدت انطلاقة حركة جماهيرية نضالية ، تميزت باستقلالية نسبية ، عن تأطير القوى السياسية و النقابية التقليدية ، و تركزت أساسا في نضالات الطبقة العاملة المنجمية ، و انتفاضات فلاحية في بعض المناطق التي تعرف همجية المعمرين الجدد¹⁷.

15. يرى الكاتب "أن النواة لحزب البروليتاريا ، تتشكل من العناصر الطليعية ، كفاحيا و سياسيا ، و إديولوجيا في صفوف الحركة العمالية..." ، و يرى كذلك أن في غياب حزب البروليتاريا ، لا يمكن للمثقف الثوري البرجوازي الصغير أن ينصب نفسه ممثلا أو معبرا عن مصالح البروليتاريا. جوابنا على هذا ، هو التذكير بأن منظمة "إلى الأمام" قد تصدت لهذه الموضوعات في كثير من وثائقها ، و منها ، "الوحدة الجدلية لبناء الحزب الثوري و التنظيم الثوري للجماهير" ، و "عشرة أشهر من كفاح التنظيم..." و "لبن الحزب الثوري تحت نيران العدو..." و للمزيد من الاطلاع حول النواة الثورية لحزب البروليتاريا (منظمة المحترفين الثوريين) ، يجب الاطلاع على كراسة "ما العمل" و النصوص الأخرى للينين ، التي تشترط في بناء تلك النواة تحقيق الارتباط العضوي بين المثقفين الثوريين و الطلائع البروليتارية ، و لا تختزل الأطروحة اللينينية ذلك في العمال فقط ، لأنها ترفض النظرية العفوية الميكانيكية ، التي ترى أن الوعي الثوري للعمال ينبع مباشرة من واقعهم الاقتصادي ، هذه النظرة الاقتصادية حاربها لينين بشدة ، لأنها تؤدي إلى رفض التنظيم الثوري للطبقة العاملة.

16. (انظر الهامش 15).

17. المعمرين الجدد: المقصود به ، الملاكون العقاريون الرأسماليون الذين استولوا على الأراضي الزراعية في المناطق الخصبة ، فأخذوا مكان

إن هتتين الميزتين ، بالإضافة الى عناصر أخرى (مرتبطة بالصراع الطبقي و مستوى تطوره الموضوعي و بتأثير التطورات الحاصلة على مستوى القوى الثورية بالوطن العربي ، و على المستوى العالمي...) دفعت بالصراع السياسي و الإيديولوجي في صفوف البرجوازية الصغيرة الى التقدم ، و انعكس هذا داخل الاحزاب البرجوازية الصغيرة ، و خاصة في بعض المواقع الديناميكية ، كالمثقفين و الشبيبة المدرسية ، و لقد تفاوتت الإختيارات بين العديد من الإتجاهات داخل هذه الأحزاب ، و من بين الإختيارات التي أفرزت في هذه المرحلة ، كانت الحملم ، و تجلى هذا في انسلاخ عدد من العناصر الشابة من المثقفين أو الشبيبة المدرسية عن هذه القوى ، و التحامها في ظل توجه فكري و سياسي مستقل ، تشكلت أرضية الالتقاء النضالية بالنسبة لأفراده داخل الشبيبة المدرسية ، و أساسا في أوساط الحركة الطلابية. و لقد انصهرت القاعدة السياسية الإيديولوجية للحملم ، في ظل حركة فكرية تميزت بتبنيها للفظ الماركسية اللينينية ، و نقد الأحزاب الاصلاحية و "التحريفية"¹⁸ بالبلاد.

ب- أما على مستوى المواقف السياسية ، فقد تميزت نشأة الحملم بطرحها لموقف جذري واضح من النظام القائم ، و تشديدها على القضية الفلسطينية.

هكذا ، فإن الحركة لا تعدو كونها حركة سياسية ثورية ، برزت كنتاج للصراع السياسي و الإيديولوجي في ميدان طبقي معين ، هو ميدان البرجوازية الصغيرة ، و تحت تأثيرها ، و لاحتداد الصراع الطبقي عموما بالبلاد ، و لا علاقة للبروليتاريا بوجود هذه الحركة إذا إستثنينا عنصرين هما:

- التأثير الخارجي للرصيد الفكري السياسي و الإيديولوجي لتجربة البروليتاريا العالمية ، و الحركة الشيوعية الأممية على المثقفين و الشباب عموما ، و الذي تجلى بالنسبة للحملم في تبنيها للماركسية اللينينية ، و بعض الانتقادات الجزئية و المتفرقة الشائعة حينذاك حول "التحريفية".

- التأثير الخارجي للحركة النضالية للطبقة العاملة المغربية على البرجوازية الصغيرة في تلك الفترة¹⁹.
لقد أبرزت التجربة الملموسة للحملم ، و على مدى أكثر من 10 سنوات من عمرها تقريبا ، أن السيرورة التي عرفت هذه الحركة ، لم تكن سيرورة الاندماج بالبروليتاريا و طلائعها ، بل على العكس من ذلك ، عرفت هذه الحركة سيرورة عزلة متصاعدة ، ليس إزاء البروليتاريا فحسب ، و إنما أيضا عن قاعدتها الاجتماعية (التي أفرزتها الشبيبة المدرسية)²⁰ ، و هي اليوم أبعد ما تكون عما كانت عليه حين نشأتها ، عن أن تشكل نواة للبروليتاريا (حزبها) ، كما أن التجربة ، تبرز ، أن التطور السياسي و الإيديولوجي للحملم ، لم يعمل على ضرب القاعدة الطبقية ، التي إنطلقت منها هذه الحركة ، و إنما عززها ، و ذلك ببلورة تصورات شمولية ، تؤدي جميعا إلى مشاريع ثورية برجوازية صغيرة. إن منوعات البرامج التي تقدمها

المعمرين القدامى ، و ذلك بعد الاستقلال الشكلي.

18. يضع الكاتب مصطلح التحريفية بين مزدوجتين ، مما يعني تشكيكه في وجودها.

19. فيما يخص التأثير الخارجي للحركة النضالية للطبقة العاملة على البرجوازية الصغيرة ، و هي هنا الحركة الطلابية ، ينسى الكاتب أن الحركة الطلابية قد عرفت تحولا بنويا ، بعد وصول الآلاف من أبناء الكادحين ابتداء من 1968 ، و لهذا معناه الكبير.

20. يتكلم الكاتب عن العزلة عن البروليتاريا و حتى عن الشبيبة المدرسية ، بالنسبة لعشر سنوات من تاريخ الحملم ، و هذا بجانب للحقيقة.

الحلم ، من نظرية الثورة في الغرب العربي ، الى المجلس التأسيسي... الخ ، و التنظيرات المحيطة بهذه المنوعات ، في غياب أي تحليل علمي لواقع الصراع الطبقي ، و مصالح البروليتاريا المغربية ، و بارتباط عضوي مع هذه الطبقة و حركتها النضالية الملموسة ، كل هذا يشكل دليلا آخر على الطبيعة الطبقيّة لهذه الحركة ، و هكذا لا نستطيع اليوم اعتبار الحلم مجرد مجموعة من المثقفين البرجوازيين الصغار الثوريين ، يسعون للارتباط بالحركة العمالية و المساهمة في بناء حزب البروليتاريا ، ذلك أن الحركة منذ نشأتها الى اليوم ، تعززت كتنظيمات قائمة بذاتها ، خطأ و ممارسة ، تسعى لبسط هيمنتها السياسية و الايديولوجية على الطبقة العاملة ، و باقي الجماهير ، على الاقل على مستوى مشاريعها الثورية²¹.

II. هل تتلخص مهمة بناء الحزب في عملية بناء منظمة المحترفين الثوريين و لو مرحليا ؟

إن مفهوم الحزب هو أشمل بكثير من المنظور التراكمي الكمي الذي إعتمدته الحلم ، و حين طرح لينين مسألة منظمة المحترفين الثوريين في سنة 1902 ، كانت البروليتاريا الروسية قد قطعت أشواط كثيرة في عملية تأطير نفسها ، سياسيا و إيديولوجيا و تنظيميا²² ، و كان المستوى الملموس الذي بلغه نضالها يتطلب الارتقاء إلى مرحلة عليا²³. فلقد كانت الحلقات الاشتراكية الديمقراطية الروسية منتشرة عبر أنحاء البلاد ، داخل أوساط الحركة العمالية ، و كان لهذه الحلقات عملها الدعائي و التحريضي و التنظيمي و جاء طرح لينين لمنظمة المحترفين الثوريين اعتبارا:

- كون الاحتراف الثوري أصبح ضرورة ملموسة ، و ملحّة بالنسبة للمناضلين الثوريين ، حتى يتمكنوا من إنجاز المهام الملموسة للنضال الثوري في روسيا حينذاك و كان الإخلال بالاحتراف ، معناه الإخلال بهذه المهام ، التي لم تكن نهائيا تصورات قبلية جاهزة لعملية الثورة²⁴.

- و لكون الضرورة النضالية بدأت تفرض تنظيما مركزيا محكما ، من أجل توحيد نضال البروليتاريا الروسية ، و تعميم التجارب المختلفة و المتباينة ، و تطور الوعي السياسي و الإيديولوجي ، و هذا نقيضا لواقع الشتات في صفوف الحركة العمالية الروسية ، و تجاوزا لتأثيرات الإنحرافين الاقتصادي و العفوي ، و هكذا فإن لينين لم يكن يتصور بناء منظمة للمحترفين الثوريين على طريق بناء الحزب ، و إنما كان يرى بناء منظمة للمحترفين الثوريين كإحدى مكونات الحزب البروليتاري ، دون الفصل فيما بين هذه المكونات بأية مرحلة²⁵.

21. ادعاء بدون برهنة.

22. يتحدث الكاتب عن تأطير الطبقة العاملة الروسية لنفسها سياسيا ، إيديولوجيا و تنظيميا ، كما لو أن هذا جاء عفويا ، و هذا بجانب للحقيقة التاريخية ، رغم أن الحركة الاشتراكية الديمقراطية الروسية ، قد كانت تعاني من عدة انحرافات ، بكرسها التشردم و التشتت الذي كانت تعاني منها.

23. هناك نوع من الخلط بين مستوى الحركة العمالية الروسية ، و ظهور الأفكار اللينينية حول التنظيم ، و هذا الخلط يوحي بقراءة ميكانيكية و استنساخية للتجربة الروسية ، دون الأخذ بدروسها المعممة ، التي استخلصتها اللينينية.

24. يظهر أن صاحب المقال لم يكن يفهم مغزى المفهوم اللينيني للتنظيم ، كتصور عام يخدم الثورة ، و لم يكن فقط نتاج ظروف خاصة روسية ، مما أسقطه في فهم ضيق لهذا الإسهام ، الذي سيصبح فيما بعد ، أحد الحقائق العامة للفكر الماركسي - اللينيني.

25. انظر تقرير 20 نونبر + النظام الداخلي + لبن الحزب تحت نيران العدو+ من أجل خط ماركسي- لينيني لحزب البروليتاريا المغربي). إن الطرح اللينيني يجعل من منظمة المحترفين الثوريين النواة الأساسية لحزب البروليتاريا ، و ليس فقط مكونا إلى جانب مكونات أخرى داخل الحزب ، و يظهر أن الكاتب لم يدرك جوهر الصراع داخل المؤتمر الثاني داخل الحزب الاشتراكي الديمقراطي الروسي: انظر كتاب "خطوة إلى الأمام خطوتنا إلى الوراء" لينين.

و لقد كانت الشروط التاريخية في روسيا متوفرة لتأسيس مثل هذا الحزب بجميع مكوناته. كما أن لينين حين يطرح مهمة بناء منظمة من المحترفين الثوريين ، فإنه لا يطررها على عاتق مجموعة من المثقفين البرجوازيين الصغار ، وإنما يطررها على المناضلين الثوريين في صفوف الحركة العمالية ، مهما كانت أصولهم الطبقية ، و لكن على قاعدة الارتباط العضوي و الفعلي بالحركة العمالية ، في ظل مسيرة ثورية أدت إلى أن يصبحوا أبناء للطبقة العاملة ، يدافعون بالملمس عن مصالحها القريبة و البعيدة ، لهذا فإن اختزال الحركة الماركسية اللينينية ، و على الخصوص منظمة الى الأمام ، لمسألة الحزب ، في بناء منظمة للمحترفين الثوريين ، هو إختزال يقوم على نفي واقع التجربة اللينينية و تشويهها ، و هذا الانحراف القائم ليس بخطأ شكلي ، و إنما انحراف يعكس تصورا نخبويًا ، يؤدي إلى فهم معضلة الحزب باعتبارها معضلة أطر متمرسة فقط تستطيع قيادة الجماهير²⁶.

إنه طريق السقوط في البلانكية و نزعة التآمر عبر طريق متعرج. إننا نعتبر أن حزب البروليتاريا ليس بحزب نخبوي ، لكنه حزب جماهيري ثوري ، يجسد الاستقلال السياسي و الأيديولوجي و التنظيمي للطبقة العاملة ، بقيادة طليعتها الواعية و المنظمة ، كما أننا نعتبر أن الحزب البروليتاري لا يشكل هرما تنظيميا يبنى على مراحل ، من القمة الى القاعدة ، لكنه مجموعة من التنظيمات تمر من الأشكال الأكثر جماهيرية ، إلى الأكثر سرية ، و تتبلور ضمن نفس المسيرة الواحدة ، و تجسد تطور و تقدم نضال البروليتاريا ضد أعدائها ، و هكذا فإن الحزب نتاج ذاتي و موضوعي لصراع البروليتاريا ، إذا كان يشكل أداة تنظيمية ثورية ، فهو قبل كل شيء مضمون سياسي و إيديولوجي طبقي ، لا يمكن لأية فئة إجتماعية أو طبقة أخرى غير البروليتاريا أن تبلوره مكانها²⁷.

و هكذا أيضا نرى أن مهمة بناء الحزب بما فيها مهمة بناء منظمة المحترفين الثوريين ، ملقاة على عاتق الطبقة العاملة ، و ينحصر دور الثوريين الراغبين في المساهمة فيها ، الاندماج بحركية الطبقة العاملة المغربية في ظل مسيرة نضالية ملموسة ، ينجز فيها هؤلاء الثوريون المهمات الأولية و العملية في صفوف الحركة العمالية ، حتى يصبحوا مناضلين شيوعيين حقا ، و أبناء مخلصين للطبقة العاملة ، هذه المهام التي تكمن أساسا في المساهمة في التأيير و الرفع من مستوى الوعي السياسي الطبقي الثوري²⁸.

26. إن الحلم و إلى الأمام ، ما كان لها بعد 70 سنة من صدور كراسة "ما العمل" و قبلها مقالة "بما نبدأ" و "رسالة إلى رفيق" أن تعيد التجربة الروسية لها قبل صدور التصورات اللينينية للتنظيم ، ذلك لأن تلك التصورات تعالج مكامن الخلل في التجربة الروسية ، فهل كان على الحلم أن تمر بالضرورة ، بنفس التجربة ، و هذا لعمرى قمة الإفلاس النظري ، و يعكس إلى حد ما حلم صاحبه حول حل المنظمات الماركسية اللينينية ، و الذهاب فرادى إلى الطبقة العاملة ، للتطهر من الخطيئة الأصلية البرجوازية الصغيرة ، علما أن الطرح الماركسي ، كما بلوره كاوتسكي حين كان ثوريا و أخذ به لينين ، يقوم على التفريق بين النضال الطبقي الإقتصادي و الموضوعي للطبقة العاملة ، و تطور وعيها السياسي الطبقي الثوري ، ليس في إطار علاقة ميكانيكية بينهما ، بل في علاقة جدلية.

27. مرة أخرى يكشف الكاتب عن عدم فهمه لنظرية التنظيم اللينينية ، و ينم تصوره عن خط عفوي ، عندما يعتقد أن الطبقة العاملة وحدها تستطيع أن تبني حزبها الثوري ، الشيء الذي لم تتبته أي تجربة تاريخية على الإطلاق.

28. إن الكاتب يعتقد بإمكانية بلورة الوعي السياسي الطبقي ، الذي سيؤطر به المثقفون الذاهبون إلى الطبقة العاملة ، هاته الأخيرة ، و ذلك خارج أي تنظيم ، و هذا قمة العفوية و النزعة العمالية ، و لعق لمؤخرة الطبقة العاملة كما يقول لينين ، أي أنهم يصبحون ذليلين لها ، بدل المساهمة في رفع مستواها السياسي و الإيديولوجي ، عبر أهم سلاح ، ألا و هو سلاح التنظيم الثوري.

III. حول المقدمة التكتيكية

لقد تبلور بعد 72 تصور يربط مهمة الحزب بالمقدمة التكتيكية ، التي تشكلها الشبيبة المدرسية بالنسبة للجماهير ، و ذلك بناء على الاعتبارات التالية:

إن الشبيبة المدرسية تشكل القطاع الجماهيري الذي يخوض نضالات ذات طابع سياسي مكشوف ، ستتبلور من خلاله عناصر مناضلة ثورية تتبنى الماركسية اللينينية ، و تستطيع لعب دورها داخل الجماهير الشعبية الكادحة ، كأطر ثورية بروليتارية.

إن الشبيبة المدرسية لها مميزات خاصة ببلادنا ، فإذا كانت الحركة في ظل ظرف محدود زمنيا قوة سياسية لها إستقلاليتها النسبية عن باقي القوى السياسية في المجتمع ، إلا أنه من اللازم أيضا تسجيل أن حركة الشبيبة المدرسية ، ستظل دوما كما كانت كذلك تاريخيا ، حتى في بلادنا ، حركة ديمقراطية في خطها العام ، ذات طبيعة طبقية برجوازية صغيرة ، مع بعض المميزات الخاصة الناتجة عن واقعها كفاءة إجتماعية لها موقع محدد في عملية الانتاج ، على مستوى المجتمع. و هذا ينفي إمكانية بروز أطر بروليتارية أو نواة للمحترفين الثوريين من صفوفها ، بالمضمون الماركسي اللينيني ، فحركة الشبيبة المدرسية ، يمكنها أن تفرز مناضلين برجوازيين صغار ثوريين ، من خلال حركتها الخاصة ، و يمكن لهذه الأطر أن تتبنى الماركسية اللينينية كفكر ، إلا أن الأطر البروليتارية ، و منظمة المحترفين الثوريين ، لا يمكنهم التبلور إلا من خلال مسيرة عسيرة ، لنضال البروليتاريا نفسها ، و هذه مرحلة لا يمكن القفز عليها بأية وصفات سريعة مهما كانت ممنطقة²⁹.

و إذا كان الطابع السياسي المكشوف ، لشعارات الشبيبة المدرسية ، قد ظل يميزها عن باقي القطاعات الجماهيرية العاجزة عن ذلك ، فإن تسجيلها كحقيقة و كميزة من مميزات الصراع الطبقي ببلادنا ، يلقي على عاتق الشيوعيين المغاربة أعباء جسيمة ، من أجل فتح الطريق الثوري أمام الطبقة العاملة و طليعتها الثورية ، في النضال السياسي ، و هذا يعني الإندماج المباشر بالنسبة لمجموع المثقفين الثوريين ، المتبنين للماركسية اللينينية بالحركة العمالية و طلائعها المناضلة ، من أجل تطوير كفايتها و وعيها السياسي ، و المساهمة في بناء حزب البروليتاريا. و يبقى في الأخير أن خزان الأطر البروليتارية هي الطبقة العاملة نفسها³⁰.

29. إن وضع سور صيني بين سيرورة انبثاق أطر ثورية ماركسية لينينية ، من داخل الشبيبة المدرسية ، و ليس الشبيبة المدرسية في حد ذاتها ، و بين سيرورة تبلور الأطر البروليتارية كأنوية ثورية للطبقة العاملة ، يتم عن نزعة ميكانيكية غير جدلية ، ثم إن هذا يعني خلطا ممتنا بين النواة الثورية للبروليتاريا ، و بين منظمة المحترفين كنواة ثورية لحزب البروليتاريا الماركسي اللينيني ، حيث يتساوى العامل و المثقف على قاعدة الانتماء إلى الإيديولوجية الماركسية اللينينية الشيوعية و الممارسة الثورية ، فالمثقف الثوري و العامل الثوري الطليعي قد أصبحا معا شيوعيان ، فعلى هذا الأساس طالب لينين ، بتهيئ الشروط للعمال الثوريين ، للقيام بمهامهم عبر تهيئ شروط احترافهم الثوري ، و هذا لا يكون إلا بفصلهم عن ظروف العمل المضنية.

30. إن سيرورة بناء حزب الطبقة العاملة الثوري ، مرتبطة جدليا بسيرورة بناء الوعي السياسي الطبقي الثوري لدى الطبقة العاملة ، و هذا لا يمكنه أن يتحقق إلا بالتوجه إلى كل طبقات الشعب ، و عدم الاكتفاء بالإجابة عن سؤال ما العمل ؟ بالدعوة إلى الذهاب إلى الطبقة العاملة فقط ، و هو الأمر الذي حاربه لينين ، و اختلفت حوله منظمة "إلى الأمام" و منظمة "23 مارس" في أبريل 1973 ، إن إشكالية الوعي الطبقي السياسي ، لا يمكن فصلها عن مجموع الصراعات الطبكية في بلد ما ، و تركيز وعي الطبقة العاملة على ذاتها ، إنما هو النزعة الاقتصادية بامتياز ، فالإكتفاء بعلاقة العامل برب المعمل

ج. الحركات الماركسية اللينينية داخل الشبيبة المدرسية كظاهرة حديثة.

إن وجود حركات سياسية تبني الماركسية اللينينية داخل حركات الشبيبة المدرسية ، هي ميزة تكاد تكون عامة ، سواء في ما يسمى بالعالم الثالث ، أو حتى في بعض البلدان الامبريالية ، و في الوقت الذي يتميز فيه وضع الحركة العمالية بانحسار في موقعها ، على مستوى الصراع السياسي كقوة طبقية مستقلة ، رغم الأزمة العامة التي تشمل النظام الرأسمالي العالمي ، و التي تنعكس على أوضاع الطبقة العاملة بشكل حاد.

إلا أن هذه الحركات الماركسية اللينينية في صفوف الشبيبة المدرسية ، التي برزت في الستينيات و على مدى أكثر من 15 سنة مضت ، لم تحصد في تجربتها سوى الفشلات الذريعة ، التي تزيد منها أزمة الحركة الشيوعية العالمية ، و الغموض السياسي و الإيديولوجي القائم فيها. لقد افتقدت كافة الأحزاب الشيوعية لتوجيه بروليتاري ، و تحولت الى أدوات في أيدي فئات طبقية لا علاقة لها بالطبقة العاملة ، و ذلك في غالبية بلدان العالم ، و تحت ألقنة مختلفة في المظهر ، متماثلة في المضمون ، و سواء على مستوى تلك القوى ، التي تمكنت من الإستيلاء على السلطة أو تلك التي لم تتمكن من ذلك ، (الصين ، الفيتنام ، الاتحاد السوفياتي ، ألبانيا... ثم أحزاب الأممية الثالثة في أوروبا.) ، و يمكننا القول اليوم ، بأنه كما جسدت سنة 1914 و ما بعدها ، مرحلة إفلاس بالنسبة للأممية الثانية و الثانية و النصف ، في ظل تحولات طبقية جوهرية طرأت على البنية الاجتماعية السياسية و الإيديولوجية للأحزاب الاشتراكية الديمقراطية ، بارتباط مع التحولات التي حصلت في صفوف الطبقة العاملة و الحركة العمالية ، و في علاقة مع التطور الذي عرفه النظام الرأسمالي العالمي نحو الامبريالية ، فإن المرحلة الحالية تشكل نهاية فترة تاريخية طويلة من حياة الحركة الشيوعية العالمية ، تبقى في ظلها المبادئ الأساسية للماركسية سديدة و حية ، إلا أن الماركسية اللينينية تحتاج بشكل ملح ، الى قفزة نوعية تعصف بالعديد من القوالب الجامدة ، و التصورات السياسية و الإيديولوجية ، التي تبلورت في المرحلة التاريخية الماضية ، و التي أصبحت اليوم عائقا في وجه تطور آفاق الثورة البروليتارية³¹.

و لا يمكن اعتبار الحركات السياسية القائمة خارج الحركة العمالية ، و التي استحوذت على رصيد الطبقة العاملة الفكري و النضالي ، إلا إحدى منوعات الثورية البرجوازية الصغيرة le révolutionnisme petit bourgeois أفرزها واقع أزمة الحركة الشيوعية العالمية و الحركة العمالية ، و تلقى لنفسها مرتعا في ظروف الأزمة ، بينما هي بعيدة كل البعد على أن تكون بديلا ثوريا.

لا تبلور وعيا طبقيا سياسيا ، و إنما وعيا اقتصاديا و عفويا و نقابيا ضيقا ، أو تراديونيا ، و هذا ما لم يفهمه التصفويون و دعاة إعادة البناء ، فكلاهما اختزل الموضوع في الذهاب إلى الطبقة العاملة ، و إن اختلفوا في الطريقة ، فالأولون دعوا إلى حل المنظمات و الذهاب فرادي ، و الآخرون دعوا إلى إعادة البناء (في وعاء مغلق) و الذهاب إلى الطبقة العاملة ، فلاهم حافظوا على مواقعهم داخل الشبيبة المدرسية ، و لا هم تجددوا داخل الطبقة العاملة ، فجاءتهم الرياح من حيث لا تشتهي السفن في خريف 1985 ، و تحول الأولون فيما بعد إلى مجرد ديموقراطيين ليبراليين من أنصار الثورة البرجوازية الفرنسية بالنسبة لبعضهم ، و إصلاحيين بالنسبة للبعض الآخر الذي التحق بالإتحاد الإشتراكي أو بالعمل المدني ، أو تخلى عن العمل النضالي.

31. هنا يلتحق الكاتب بكوكبة دعاة التخلي عن اللينينية و الاكتفاء بالماركسية ، دون أن يكلف نفسه عناء إعطاء الحيثيات ، اللهم الإكتفاء بالعموميات.

د: و لكن هل يمكن أن تشكل الشبيبة المدرسية قنطرة عبور للفكر الثوري الماركسي اللينيني الى الطبقة العاملة و الجماهير الشعبية؟

لقد انطلقت منظمة إلى الامام من تصور ، أن الوعي لا تمتلكه الطبقة العاملة من خلال العلاقات الضيقة بينها و بين مستغليها المباشرين ، و إنما تمتلكه إنطلاقا من العلاقات الاجتماعية الواسعة التي تربط هذه الطبقة بمختلف الطبقات الأخرى.

إن هذا الطرح في عموميته رغم كونه طرحا سديدا ، لا يعطينا إمكانية الإجابة بوضوح عن دور المثقفين في بلورة الوعي الطبقي لدى البروليتاريا ، لكنه يعمل على تعويم هذه المسألة ليصل في النهاية إلى بلورة تصورات خاطئة ، حول علاقة الشبيبة المدرسية بالطبقة العاملة و مجموع الجماهير الشعبية. إن العلاقات بين مختلف الطبقات في المجتمع ، علاقات معقدة و متشابكة لها أشكال مباشرة أو غير مباشرة. و المثقفون هم كما كانوا تاريخيا و لا يزالون ، يشكلون ناقلة لمختلف الايديولوجيات véhicule ، و بالتالي فإن قيام العديد منهم بإيصال الفكر الثوري الماركسي اللينيني للجماهير الشعبية و الطبقة العاملة ، مسألة حتمية بوعي من هؤلاء أو غير وعي من طرفهم ، و لهذا تكتسي الدعاية للفكر الماركسي اللينيني في صفوف المثقفين ، و تعزيز موقع هذا الفكر على مستوى الواجهة الثقافية ، بخلق حركة فكرية داخل المثقفين تسعى لهذا الهدف ، كل هذا يكتسي أهمية لا بد من الإشارة إليها ، لكن موقع المثقف الثوري الماركسي اللينيني هو موقع آخر بالأساس ، ذلك أن تحديده كمثقف ثوري ، لا ينبع إلا من خلال ارتباطه الفعلي بالجماهير الكادحة و حركيتها النضالية ، و هو يلعب حقا دور القنطرة بين مجموعة من المعارف (الماركسية اللينينية ، تجارب البروليتاريا و الشعوب.... الخ) و بين الطبقة العاملة ، من خلال عملية الاندماج ، و يمكن لهذا المثقف أن يكون برجوازيا صغيرا من زاوية أصله الطبقي ، كما يمكن أن يكون مثقفا عاملا أيضا. و لا يشكل ما يأتبه هؤلاء المثقفون الثوريون من معارف للطبقة العاملة ، إلا عنصرا من عناصر أخرى متعددة (تجربة الطبقة العاملة الملموسة ، الصراع السياسي و الايديولوجي بين مختلف التوجهات الطبقية في صفوف الطبقة العاملة...) و هذا كله في ظل تمازج ضمن الحركة النضالية ، تتم من خلاله عملية فرز الأنوية البروليتارية ، و تبلور الخط الثوري البروليتاري داخل الحركة العمالية. إن مساهمة المثقف الثوري لا تجعل منه أئوماتيكيا عنصرا بروليتاريا ، بل يمكن ألا يستطيع هذا المثقف تجاوز التصورات التي أتى بها للطبقة العاملة ، و بالتالي يبقى حتى في صفوف الحركة العمالية عنصرا طبقيا غريبا عن الطموحات البروليتارية ، بينما يمكن له أيضا أن يعرف سيرورة الإنصهار ، الذي تجعل منه حقا إطارا للبروليتاريا في نضالها الثوري.

و من هنا نخلص ، إلى أن دور المثقفين الثوريين البرجوازيين الصغار المغاربة يبدأ بعملية الاندماج الفعلي بالحركة العمالية و الطبقة العاملة. و في هذا تكمن مساهمتهم في عملية بناء حزب البروليتاريا الثوري المغربي ، الشيء الذي حادت عنه منذ إنطلاقها الحمل ، و ذلك لاعتبارات ذاتية و موضوعية³².

32. إن الغريزة الطبقية لدى المثقف الثوري ، تمثل حقا عائقا أمام تحوله إلى مناضل بروليتاري ، كما يحتاج العامل إلى الفكر الثوري (العلم الثوري) لتجاوز مستوى وعيه الحسي أو الغريزي ، إن احتياج العامل إلى المثقف الثوري ضرورة ، تحتمها قسمة العمل الاجتماعي في المجتمع الطبقي ، و إن

هـ - لماذا تبنت الحملم طرح المقدمة التاكتيكية ؟

إن طرح المقدمة التاكتيكية هو انحراف عن مبادئ الماركسية ، باعتبار أنه يعوض مرحليا بالنسبة لمهمات الماركسيين اللينينيين المغاربة ، عن طليعية الطبقة العاملة بتنظيم طليعية فئة اجتماعية و طبقية أخرى غيرها ، و لكن لا يكفينا اليوم نقد مجموعة الأطروحات الخاطئة التي اتخذت موقعا خاصا في تجربة الحملم ، بل يجب كذلك البحث عن جذورها الطبقية من جهة ، و عن الشروط الطبقية التي أنتجت هذه الأطروحات في ديناميتها و تفاعلاتها من جهة أخرى. و لقد حددنا في البداية بعض المعالم حول الجذور الطبقية التي أفرزتها الحملم ، و لقد تفاعلت هذه الحركة مع شروط طبقية ، سنحاول الإشارة إليها باعتبارها خطوطا عامة جدا من الواجب التعمق فيها لاحقا.

لقد عرفت الحملم في المرحلة ما بين 70-72 ، تجربة سياسية تجلى فيها فشل محاولاتها القليلة في النفاذ إلى مواقع الجماهير الثورية الأساسية ، خاصة و أن المد الذي عرفته الحركة الجماهيرية منذ مطلع 68 ، كان كاف قد بدأ في الانحسار التدريجي ، و نظرا أيضا للتخلف الذي عبرت عنه الحملم ، التي لم تكن ملائمة للنشاط خارج المثقفين و الشبيبة المدرسية ، و هذا في الوقت الذي كان تأثير الحملم داخل الشبيبة المدرسية يتعاظم ، و يمتد من صفوف الحركة الطلابية إلى صفوف حركة التلاميذ بشكل واسع ، و بارتباط مع تنامي المد النضالي لحركة الشبيبة المدرسية ، هكذا برزت أطروحة المقدمة التكتيكية بحددة في سنة 70 ، نظرا لعدة اعتبارات منها:

- واقع تقبل الشبيبة المدرسية لأطروحة الحملم ، و الانتشار السريع لأفكارها في صفوف هذه الشبيبة ، و العزلة القائمة على مستوى الارتباط بمواقع الجماهير الأساسية.

- و لكون حركة الشبيبة المدرسية في مدها كانت ترفع فعلا شعارات سياسية مكشوفة الطابع ، على عكس مواقع الحركة الجماهيرية الأخرى.

- و لقد كان برنامج الحملم العام يكتنفه الغموض ، و هكذا أصبحت الشبيبة المدرسية بالنسبة لبعض الاتجاهات ، أداة لتفجير الثورة المغربية ، انطلاقا من إعتبارها "رأس الرمح" الذي سيدفع بالحركة الجماهيرية إلى مستوى الانتفاضة الفاشلة ، على نمط ثورة 1905 الروسية ، تسمح بالارتباط بالجماهير من طرف الحركة ، في ظل عملية سريعة ، نتيجة للظروف التي ستخلقها هذه الانتفاضة بمساهمة الحملم.

- و لقد لعب تأثير انتفاضة البيضاء في 65 ، دورا كبيرا في هذا الطرح ، خاصة و أن التقييم الذي كان لدى الحملم لهذه الانتفاضة ، يعتبر بالضبط أن الشبيبة المدرسية لعبت دور المفجر لها ، و انطلقت الجماهير كافة حولها في هذه الانتفاضة ، الشيء الذي يفتقد للنظرة الموضوعية ، إذ أن الطبقة العاملة المغربية لم تساهم في 65 إلا بشكل ثانوي.

و لقد تم التخلي في 72 عن أطروحة الانتفاضة الفاشلة ، و لكن دون أن تنسف الأسس التي أدت إليها ، و كان هذا التخلي ناتجا عن تطورات الصراع الطبقي ، و بالنسبة لحركة الشبيبة المدرسية نفسها ، التي بدأت بدورها مسيرة الانحسار

احتياج المثقف الثوري إلى العامل ضرورة كذلك لتجاوز هذه القسمة ، و خاصة تقسيم العمل بين يدوي و فكري ، و ذلك بالانخراط في سيرورة التبلتر ، لكن و في كل الأحوال ، لا يشكل واقع المثقف الثوري ، من حيث غريزته الطبقية ، لعنة أبدية لا يمكن تجاوزها ، لكن هذا التجاوز ، خلافا للمنظور العفوي ، لصاحب المقال ، لا يتم إلا ب و عبر الانتماء إلى المنظمة الثورية الشيوعية ، التي تتبنى خطأ ثوريا شيوعيا.

عن مدها النضالي ، و ذلك مع بداية ترتيب الأوضاع الذي دخل فيه النظام بعد الهزات العنيفة التي عرفها ما بين 70_72 ، ثم تحت تأثير أيضا الإعتقالات الواسعة التي عرفتها الحملم في 72.

و هكذا بدأت تتبلور المفاهيم التي تطرقنا لها في هذا النص حول الشبيبة المدرسية ، و علاقتها بالحزب و الجماهير ، إنطلاقا من عملية نقد سطحية ، تفترضها التطورات ، و كتبرير إيديولوجي لاستمرارية الحملم في صفوف حركة الشبيبة المدرسية ، و علينا اليوم أن نسجل أن كافة اتجاهات الحملم قد تخلت نظريا عن أطروحة الشبيبة المدرسية ، دون إعطاء أي تحليل لذلك ، له طابع تقييمي نقدي للتجربة السابقة. كما أن هذا التخلي يتوافق مع واقع التواجد العملي الوحيد للحملم ، في الشبيبة المدرسية و المثقفين ، مما يؤكد طبيعة هذا التخلي اللفظي³³.

IV. حول مسألة الوحدة

إن الحملم تنظر إلى الوحدة بين فصائلها المختلفة ، باعتبارها خطوة على طريق بناء حزب البروليتاريا المغربي ، و لقد كانت الوحدة ، و قبل 72 ، رغبة حارة و عامة ، لعبت فيها شروط مد الحركة الجماهيرية ، و أساسا الشبيبة المدرسية دورا كبيرا ، خاصة بالنسبة لمنظمة "إلى الأمام" ، التي كانت ترى أن تبني الماركسية اللينينية هو قاسم مشترك كافي للتوحيد ، و انطلاقا من أن جميع الماركسيين اللينينيين يسعون لبناء حزب البروليتاريا ، و التي سيتم التوصل إليه بسرعة أكثر و عمل أفضل ، إذا ما تضافرت جهود الحركة الماركسية اللينينية في منظمة موحدة ، إلا أن الفترة مابعد 1972 ، التي شكلت بداية الانحسار في هذا المد للحركة الشبيبية المدرسية ، فجرت في صفوف الحملم خلافات بارزة و مباشرة حول عدة قضايا ، كالسرية و الإحتراف و الحزب و الجبهة... إلخ ، و في هذه المرحلة تبلور طرح لدى منظمة "إلى الأمام" حول مسألة الوحدة ، يرى ضرورة قيامها على قاعدة خط سياسي سديد و موحد ، مع بقاء اعتبارها خطوة ضرورية على طريق بناء الحزب البروليتاري ، الذي تمثل الحملم نواته الأولى. فمهي منزلقات هذا الرأي الذي مازال قائما لحد الساعة وسط اتجاهات الحملم ؟

أ - مسألة الوحدة في تجربة الحركة الشيوعية العالمية

سننظر هنا إلى انتقاء بعض النماذج من تجربة الحركة الشيوعية العالمية لإلقاء الأضواء على هذه المسألة ، و هكذا فبالنسبة لماركس و إنجلز ، طرحت هذه القضية حول علاقة مجموعة إيزناخ الاشتراكية الديمقراطية الألمانية (ليننخت) و بين مجموعة اللاسالين داخل الحركة العمالية الألمانية ، و كانت مسألة التوحيد رغبة حارة لدى الحركة العمالية الألمانية ، و هدفا بالنسبة للاسال و مجموعته ، من أجل إعادة لحزبه³⁴ ، بعد ما عرف إنحسارا كبيرا نتيجة النزعة السلطوية و الحلقية ، التي كانت تتجلى في تعامله مع الحركة العمالية الألمانية ، و كان الصراع حينذاك يدور حول برنامج

33. لا يمكن القيام بتقييم خارج مجموعة من العناصر منها: معرفة المواقف بدقة ، ثم وضعها في سياقها التاريخي ، و قد سقط الكاتب في خلط بين فترة 70 - 72 و الفترة التالية لها ، و قد عرفت مثلا فترة 72 - 74 أوج عمل المنظمة مع الطبقة العاملة ، بل بداية تغلغل وسط الفلاحين ، و من المعروف كذلك ، أن الحركة التلاميذية ، قد عرفت من 1972 إلى 1974 ، نضالات مستمرة ، بقيادة النقابة الوطنية للتلاميذ ، لكن هذه النضالات المنظمة ، كانت منظمة و مؤطرة ، بخلاف الفترة الأولى حيث كان طابع العفوية هو الغالب
34. الجملة غير مكتملة في النص الأصلي ، و لعل الكاتب أراد أن يقول: من أجل عودة التوجه للحزب.

الحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني (برنامج غوتا) ، و لقد عبر كل من ماركس و إنجلز عن رفضهما لهذه الوحدة ، التي تقوم على برنامج غير بروليتاري ، و كانا يريان أن الوحدة بين هاتين المجموعتين ، يجب أن تشكل خطوة متقدمة في نضال البروليتاريا ، و لهذا من اللازم أن تتوفر فيها الشروط اللازمة لذلك ، و في إستحالة هذا ، يمكن الاكتفاء باتفاقات عملية ، تستهدف مواجهة العدو المشترك ، بدل الغوص في صنع برامج غير مفيدة أو اتفاقات حدود دنيا تجسد تراجعاً على المستوى الذي وصلت إليه نضالات البروليتاريا ، و الوضوح الذي امتلكته فيها على المستويين السياسي و الايديولوجي³⁵ ، أما بالنسبة للينين فلقد طرحت قضية وحدة الماركسيين اللينينيين (أو الإشتراكيين الديمقراطيين الروس) مرات متعددة ، نذكر منها مرحلة 1902 مع ما العمل ؟ (حيث كانت حركة الإشتراكيين الديمقراطيين الروس تعرف اتساعاً و تقدماً سريعاً في صفوف الطبقة العاملة الروسية ، التي بدأت العديد من شرائحها تنحاز للنضال البروليتاري ، في الوقت الذي ينعدم فيه برنامج واضح للإشتراكية الديمقراطية الروسية ، و تعرف هذه ، تشتتاً و تذبذباً كبيراً ، جسده بروز عدد من الاتجاهات التي تنظر للعفوية و الاقتصادية لدى قادتها. و لقد كانت الوحدة بالنسبة للينين ضرورة لتقديم النضال البروليتاري ، ضداً على الاتجاهات الإنتهازية داخل الحركة الإشتراكية الديمقراطية العمالية الروسية ، و خطوة متقدمة ملازمة لتأسيس حزب البروليتاريا الروسية.

و لقد طرحت المسألة ، مسألة الوحدة من طرف لينين من جديد ، بعد تأسيس الأممية الثالثة ، و ذلك حين معالجة الإنشاقات عن أحزاب الأممية الثانية ، و لقد كان الموقف الذي اتخذته الأممية في مؤتمراتها الثلاث الأولى في هذه القضية (حيث ساهم لينين في صياغة المقررات) ، يعتبر أن الاتجاهات الشيوعية المتواجدة في صفوف الأحزاب الإشتراكية الديمقراطية ، يجب أن تتحد على قاعدة توجيهات الأممية الثالثة ، في جوانبها السياسية و الايديولوجية و التنظيمية من جهة ، و أن تعمل على بناء الأحزاب الشيوعية في بلدانها على قاعدة عمل جماهيري واسع في صفوف الحركة العمالية ، من طرف أنوية شيوعية داخل الحركة العمالية من جهة أخرى. و كانت الأممية الثالثة تناضل من أجل ألا تتحول العناصر الشيوعية المتواجدة في صفوف الطبقة العاملة ، إلى مجموعات معزولة ، و ألا تؤسس الأحزاب إلا على قاعدة جماهيرية واسعة في صفوف الحركة العمالية. أما التجربة الألبانية فهي تبين أن عملية توحيد الشيوعيين الألبان ، و عملية تأسيس الحزب ، كانتا في نفس الوقت. الشيوعيون الألبان تواجدوا داخل الحركة العمالية منذ سنة 1928 ، إلا أن الوحدة لم تتم إلا في سنة 1941 ، مع تأسيس الحزب. و كانت عملية التوحيد هذه حينذاك ، رغبة تجسد إحدى ضرورات النضال المباشر الملموس في مواجهة الإحتلال الإيطالي النازي من جهة ، كما أنها كانت نتيجة الصراع الطويل و الحاد بين مختلف الإتجاهات داخل الشيوعيين الألبان من جهة أخرى. و لقد تمت عملية التوحيد في ظل حركة قاعدية داخل المجموعات الألبانية تحت التوجيه السياسي للعناصر الطليعية المنتهية لمجموعة كورسي (انورخوجة)³⁶ ، و ضداً على مواقف القيادات التقليدية لهذه المجموعات.

35. انظر كتاب "نقد برنامج غوتا" لكارل ماركس.

36. كورسي: مدينة ألبانية ، و أنور خوجة: أحد مؤسسي حزب "العمل" الألباني ، و للمزيد من المعلومات انظر كتاب "تاريخ حزب العمل الألباني".

ب - فما هي خلاصتنا من هذه التجربة ؟

لم تكن الوحدة بالنسبة للشيوعيين رغبة ذاتية ، أو مبدءا مجردا ، وإنما كانت تطرح في شروط تواجد اتجاهات ماركسية ثورية داخل الحركة العمالية ، يشكل تواجدها خطوة متقدمة في نضال البروليتاريا .
و لقد توافرت في كل التجارب التي استعرضناها شروط ذاتية و موضوعية داخل الحركة العمالية ، جعلت من عملية التوحيد ضرورة ملموسة (و ليست مبدءا مجردا أو نظريا) بالنسبة للأنوية البروليتارية الثورية ، المتواجدة في صفوف مختلف الإتجاهات الماركسية داخل الحركة العمالية. هذه الأنوية التي لم تكن تتجسد بالضرورة في القيادة السياسية التقليدية لهذه الاتجاهات .

و إذا كانت الوحدة من خلال التجارب التي إستعرضناها ملازمة لتأسيس حزب البروليتاريا ، و ليس خطوة على طريق بناءه ، فإننا لن نغامر هنا باستخلاص قانون عام ، لكننا نرى أن وحدة بين الماركسيين اللينينيين داخل الحركة العمالية ، يجب أن تعمل على تقدم المسيرة الثورية للبروليتاريا بشكل ملموس ، و لا تؤدي إلى تخلفها أو إجهاض في مسيرة تطور الوعي السياسي و الإيديولوجي للطبقة العاملة .

ج - فما هو موقع الحمل من وحدة الحركة الماركسية اللينينية طبقا لتجربة الحركة الشيوعية العالمية ؟

أولاً: إن أحد الشروط الأساسية كما رأينا في مسألة الوحدة ، هو التواجد في صفوف الحركة العمالية كاتجاهات عمالية ماركسية ثورية ، و هذا الشرط مفقود في واقع الحمل تاريخا و حاضرا ، لهذا فإن توحيد هذه الحركة ، لا يمكن أن يقود الى إنجاز خطوة البناء لحزب البروليتاريا ، و إنما هو يدخل ضمن سيرورة أخرى ، أي تلك التي تقود إلى تأسيس منظمة تضم مجموعة من الثوريين البرجوازين الصغار يتبنون أفكارا ماركسية لينينية .

ثانياً: و لكن الحمل لم تقف عند حدود كونها تجمعا للثوريين البرجوازين الصغار المتبنين للفكر الماركسي اللينيني ، بل كان لكل اتجاه من اتجاهاتها منذ البداية برنامج عام و تنظيم و أساليب عمل ، و كذلك ممارسة سياسية في الواقع الطبقي القائم ، و لم تكن الوحدة لتتم "إلا على قاعدة خط سياسي موحد و سديد" ، و هذا يعني أن هذه الوحدة لن تكون إلا عملية تأطير و توظيف الطبقة العاملة في مسيرة ثورية برجوازية صغيرة³⁷ .

د - لماذا لم تتم عملية التوحيد ؟

لقد عرفت الحمل منذ 1972 ، على الخصوص ، مسيرة تشتت ما فتئت تتعمق باستمرار ، فما هي أسباب هذه الظاهرة ؟

إن الإتجاهات الماركسية اللينينية المغربية المختلفة ، توغزها إلى المسألة التنظيمية أو القمع أو الإنتهازية اليسارية أو اليمينية أو العدمية الوطنية... إلخ ، من التبريرات التي لا تشكل في نظرنا إلا عملية تغميض للأسباب الأساسية التي حالت

³⁷ إن هذا الطرح يتسق مع أطروحات حل فصائل الحمل ، و الذهاب فرادى إلى الطبقة العاملة ، و هو طرح ، بالإضافة إلى كونه عفوي و تصفوي ، فهو لا يدرك جدلية الخط السياسي و الإيديولوجي و التنظيمي ، بحيث لا يرى إلا عنصرا من عناصر تحديد لطبيعة تنظيم سياسي ماركسي لينيني ، لأنه يكتفي فقط ، بالاعتماد على القاعدة الطبقة للتنظيم ، علما أن حزبا مثل الحزب العمال البريطاني ، تشكل قاعدته من العمال ، و مع ذلك فهو حزب بورجوازي ، بناء على هذا ، فالكاتب لا يرى الفصائل الماركسية اللينينية ، إلا مجموعات يجب حلها ، و إرسال أعضائها إلى الطبقة العاملة ، و هذا قمة العفوية و التبسيطية و التجريبية

دون توحيد الحملم: هذه الوحدة التي لن تتم ، و لم تتم في ظل البنى السياسية و الإيديولوجية و التنظيمية الطبقية ، التي بلورتها الحملم. إن وجود حركة سياسية ترتكز قاعدتها الإجتماعية على فئات المثقفين أو الشبيبة المدرسية ، لا يمكن أن يكون إلا انتقاليا. ذلك أن الشروط الخاصة بالصراع الطبقي في بلادنا قد بررت هذا البروز ، بسبب تخلف عملية الفرز ظرفيا بين الطبقات الشعبية على مستوى السياسي و الإيديولوجي ، و تخلف هذه الطبقات عن صياغة برامجها و أهدافها الخاصة و المتميزة في النضال السياسي كطبقات أو كفئات طبقية (و هذا حال البرجوازية الصغيرة المغربية أساسا)³⁸ ، جعل من الشبيبة المدرسية ظرفيا ، قوة سياسية لها استقلاليتها النسبية ، التي عبرت عنها الحملم ، كما عبرت عنها النضالات السياسية المختلفة لهذه الشبيبة منذ 1965.

إن العشر السنوات التي مضت ، جسدت مرحلة مخاض بالنسبة لمجموع الطبقات الاجتماعية ، انعكست تأثيراتها على الشبيبة المدرسية و على الحملم ، و عرفت الصراعات السياسية و الإيديولوجية تطورا في صفوف الحملم ، تحت تأثير التطورات الطبقية الحاصلة في المجتمع ، و تأثير الحركة النضالية للجماهير و التطورات التي عرفتها الحركة الجماهيرية خاصة على مستوى البرجوازية الصغيرة و الطبقة العاملة المغربية.

و من بين نتائج عملية الفرز المستمرة ، الفرز المتواصل بين الإختيارات الإصلاحية و الراديكالية داخل الحملم ، و مع تعاظم الدور السياسي للمواقع الطبقية الأخرى خارج الشبيبة المدرسية ، أصبحت عملية الفرز هذه تقوم على أساس استقطاب سياسي طبقي بين قوى البرجوازية الصغيرة ذات القواعد الاجتماعية الواسعة و الثابتة ، و بين اتجاهات الحملم المختلفة في أوساط الشبيبة المدرسية ، هذا التقاطب الذي لازال جنينيا و الذي تتجلى معالمه في ثلاث اتجاهات عامة :

• القطب الإصلاحية البرجوازية الصغير: و الذي يمثله داخل الحملم اتجاه "23 مارس" الجريدة³⁹ ، و الذي لا يشكل إلا رافدا من روافد السياسة التي تنهجها الأحزاب الإصلاحية التقليدية تحت غطاء "الواقعية الثورية" ، مع حفاظه على اللفظ الماركسي اللينيني ، و بحثه عن توطيد روابطه بالفئات المثقفة من البرجوازية الصغيرة.

• القطب الراديكالي البرجوازي الصغير: الذي يعرف لحد الآن غموضا كبيرا ، فهو يبرز أساسا مع تنامي النضال الجماهيري حيث يتجسد في بعض توجهات الحملم و الاتجاهات الجذرية في صفوف الأحزاب التقليدية أو النقابات.

• القطب الراديكالي الفوضوي: (إن الفوضوية هنا لا تعني أي مطابقة مع الاتجاه الفوضوي التاريخي المعروف): و الذي يتجلى فيما تبقى من منظمة إلى الأمام على مستوى الحملم ، و يجد قاعدته التقليدية في توجهات الحركة الطلابية و الشبيبة ، دون غيرها لحد الآن ، و يعيش وضعية التشتت و العزلة الخانقة عن الجماهير.

و لقد أدى غياب قاعدة ثابتة اجتماعية خارج الشبيبة المدرسية إلى عزلة العناصر الثورية المنبثقة عنها ، و لعب دورا في مسيرة التخالف و التشتت التي عرفتها الحركة الماركسية اللينينية ، خاصة أن هذه الحركة قد حددت لنفسها مشاريع ثورية لا يمكن أن تنجز إلا بمساهمة أوسع الجماهير ، الشيء الذي أصبح مستحيلا في غياب الارتباط بهذه الجماهير.

38. ليس هذا صحيحا ، لقد كان للبرجوازية الصغيرة و المتوسطة المغربية ، من يمثلها سياسيا ، و نعني بهما حزب الاستقلال و حزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية آنذاك ، أما الطبقة العاملة المغربية ، فقد فشلت تجربة بناء حزبيها الأولى ، بسبب الخط التحريفي للحزب الشيوعي المغربي .
39. المقصود هنا هو الاتجاه اليميني داخل منظمة "23 مارس" الذي استولى على قيادتها بعد اعتقالات 1974-1975.

و بقدر ما عرفت الشبيبة المدرسية إنحسارا في مدها النضالي ، و بقدر ما تعمقت تعقيدات الصراع الطبقي ، تعمقت أيضا مسيرة التشتت و العزلة ، إن النهج الحلقي داخل الحملم يجد أسبابه العميقة في هذه العناصر ، و في طبيعة القاعدة الإجتماعية التي أفرزت هذه الحركة ، كما يجد بدوره أيضا في الرصيد السياسي و الإيديولوجي للحركة الثورية المغربية منذ ما قبل الاستقلال الشكلي ، و التي كانت من ميزات الأساسية منذ الحركة الطلابية ، تتكون من عناصر يمكن اعتبارها برجوازية صغيرة ، فإن خصوصيات هذه الحركة تؤدي إلى ربطها أكثر فأكثر بالجمهير الشعبية. أما التلاميذ فيمكن إعتبارهم أشباه بروليتاريا semi-prolétariat ، نظرا لواقعهم و إنتمائهم لأوساط فلاحية و عمالية أساسا ، و لطبيعة التعليم في بلادنا التي تدفعهم للإتحاق بصفوف الطبقة العاملة نظرا للتصفية المنهجية.

إن الروابط التي تجمع ما بين الشبيبة المدرسية و خاصة التلاميذ ، و بين الطبقات الأساسية روابط عضوية تفتح آفاق إنتشار الفكر الماركسي داخل هذه الطبقات عبر قنطرة الشبيبة المدرسية ، كما أن طموحات حركة هذه الشبيبة يمكن إعتبارها تعبيرا عن مطامح الجماهير الشعبية ، و لهذا فالشبيبة المدرسية تشكل المثقف العضوي لهذه الجماهير .

- و هكذا تتجلى لدينا معالم الحزب المزمع بناءه من طرف منظمة إلى الأمام و الحملم ، ذلك أنه ينطلق من منظمة للمحترفين الثوريين تفرزها الشبيبة المدرسية المثقف العضوي ، ليتسع داخل الطبقات الثورية .

- و سنحاول مناقشة هذا الطرح من بعض جوانبه النظرية ، و كذلك من بعض جوانب الصراع الطبقي في بلادنا و خصوصياته و هكذا:

أ- حول المثقف العضوي.

في محاولة البحث عن إمتدادات هذه الأطروحة داخل الحركة الشيوعية العالمية ، نجد أنها تبلورت أساسا لدى غرامشي ، إلا أنها تجد جدورا لها عند لينين أيضا: إن لينين يرى بأن كل طبقة إجتماعية تفرز مثقفها الخاصين بها ، فالبرجوازية تفرز ثقافتها و المثقفين الذين يدافعون عنها و يبلورونها يعتبرون مثقفين برجوازيين ، و الطبقة العاملة بدورها تبلور مثقفها الذين هم أساسا عمال ، إكتسبوا من خلال مجهوداتهم أو شروطهم الخاصة إمكانية التعبير عن ثقافة عمالية.

و كما أن المثقفين البرجوازيين ، ليسوا دائما من زاوية إنتماءهم الطبقي أبناء للبرجوازية ، بل هم في شروط هيمنة البرجوازية على المجتمع ، يمكن أن يكونوا أبناء للبرجوازية الصغرى أو الطبقة العاملة يتبنون و يدافعون عن ثقافة و إيدولوجية البرجوازية ، فإنه من الممكن أيضا أن تصبح عناصر مثقفة برجوازية صغيرة أو برجوازية جزءا من مثقفي الطبقة العاملة ، إلا أن هذا لا يتم إلا في إطار تطور الصراع الطبقي ، و بروز الطبقة العاملة كقوة طبقية مستقلة تستقطب حولها فئات طبقية و إجتماعية أخرى ، و بالتالي يتم هذا بعد أن يتقدم تبلور الوجود السياسي المستقل للطبقة العاملة في خضم الصراع الطبقي.

و إذا كان تقسيم المجتمع إلى طبقات يبقى هو القاعدة الأكثر عمقا التي تركز عليها التقسيمات السياسية في هذا المجتمع ، إلا أن هذه القاعدة الراسخة لا تبرز في نهاية المطاف ، إلا مع مسيرة التطور التاريخي ، و بموازاة مع تطور الوعي

لدى هذه الطبقات ، و هذا يتم من خلال الصراع السياسي ، و المثقفون في المجتمع يعبرون و يعكسون بوعي أكثر و تصميم أكثر و أمانة أكثر عن تطور المصالح الطبقية و تطور التقسيمات و التجمعات السياسية فيه ، و تشكل الشبيبة المدرسية الجزء من المثقفين الذي يتفاعل بحيوية مع هذا التطور .

هذه هي بتركيز عام وجهة النظر اللينينية من مسألة المثقفين و علاقتهم بالطبقات الاجتماعية ، و هي وجهة نظر تحدد أن وجود مثقفين يعبرون عن مصالح الطبقة العاملة في صفوف الطبقة العاملة مسألة طبيعية ، أما وجود مثقفين يعبرون عن مصالح هذه الطبقة خارجها ، فهذا رهين بتطور الصراع الطبقي و تطور الصراع السياسي ضمنه ، و الذي يؤدي الى فرز الطبقة العاملة كقوة سياسية متميزة عن باقي القوى السياسية الطبقية المتواجدة فيه. أما بالنسبة لغرامشي ، و لقد كان من بين القلائل في صفوف المفكرين الشيوعيين الذين إنهمكوا على دراسة المسألة الثقافية بشكل خاص ، و هو يرى أن أية طبقة إجتماعية أو فئة طبقية تنمو على التربة الخاصة —le terrain originel— لإنجاز وظيفة جوهرية في عالم الإنتاج الاقتصادي ، و تخلق في نفس الوقت عضويا من صفوفها شريحة أو شرائح من المثقفين الذين يعطون لهذه الطبقة أو الفئة إنسجامها و تماسكها و وعيها بوظيفتها الخاصة ، ليس فقط في المجال الاقتصادي ، وإنما أيضا في المجال السياسي و الاجتماعي (إن غرامشي يعطي مضمونا خاصا و واسعا لمفهوم المثقف و الثقافة) ، و هو يفصل بين "المثقفين التقليديين" و بين المثقفين العضويين ، و يميزهم عن بعضهم البعض ، بل يضيف أن من الخصوصيات الأكثر أهمية لدى أية طبقة تسعى للوصول إلى السلطة ، الصراع التي تخوضه من أجل الاستيعاب و الإحتواء الإيديولوجي للمثقفين التقليديين ، و يتم هذا بسرعة و فعالية أكثر ، إذا ما كان في قدرة هذه الطبقة أن تفرز بشكل أوسع ، في نفس الوقت ، مثقفيا العضويين .

أما ماوتسي تونغ ، فإنه لم يتعرض لهذه المسألة بوضوح ، إلا أنه طرحها في بعض جوانبها الملموسة ، و هكذا فمن بين التصورات التي تبلورت لديه مايلي :

إن المثقفين لايشكلون طبقة إجتماعية ، و لكن إنتاجهم الفكري يمكن أن يستعمل و هو يستعمل فعلا من طرف طبقة سائدة ، أو تلك التي تطمح للسيادة ، و لهذا فإن أي عمل فكري لا يمكن فصله عن السياسة ، و من أجل تحديد ثورية أو عدم ثورية أو رجعية مثقف ما ، يوجد مقياس حاسم ، يكمن في معرفة ما إذا كان هذا الأخير يرغب في الارتباط و يرتبط فعليا بالجمهير العمالية و الفلاحية ، إلا أن المثقفين قبل أن يرتبوا قلبا و قالبا في النضال الثوري للجمهير و يقررون خدماتها و الانصهار فيها ، فإنهم أحيانا يسقطون في عديد من الأخطاء ، لذا ، فإنه مهما كان المثقفون الثوريون يلعبون دورا طليعيا و يقومون بدور القنطرة ، فإنهم ليسوا جميعا ثوريين حتى النهاية .

و لقد بدأت تتجلى لماوتسي تونغ أهمية مسألة المثقفين بشكل ملح ، منذ سنة 1957 ، حين طرح بأن السلطة في يد أية طبقة كانت ، لا يمكنها أن تظل قائمة ، بدون مثقفين . و لهذا فعلى البروليتاريا الصينية أن تكون مثقفيا الخاصين بها ses propres intellect ، و كان هذا هو أول طرح يمس بصلة للمثقف العضوي ، و يمكننا اعتبار أن ماوتسي تونغ جعل من بين مهمات الحزب العمل على فرز مثقفين عمال من صفوف الطبقة العاملة .

فماهي خلاصتنا على ضوء كل ما سبق حول المثقف العضوي ؟
إن المثقف العضوي لا يشكل ناقلا لإيديولوجية طبقة غير الطبقة التي ينتمي إليها ، و لكنه أساسا المعبر عن إيديولوجية طبقة الخاصة ، و لو في أشكال جنينية ، و الشبيبة المدرسية ليست سوى فئة من المتعلمين تتضارب وسطها مختلف الإيديولوجيات ، و يظل الطابع العام لاختياراتها هو الطابع الديمقراطي الذي يمكن أن يأخذ في مراحل و ظروف معينة مضمونا جدريا ، إلا أنه يظل دوما ديمقراطيا برجوازيا صغيرا حتى في تعبيراته الجدرية.
إن تحديد علاقة الشبيبة المدرسية بالجمهير الشعبية باعتبار الأولى مثقفا عضويا للثانية ، مسألة غير سديدة ، باعتبار أن هذا المفهوم يتخذ مضمونا دقيقا و واضحا وسط الحركة الشيوعية العالمية ، بل إنه في واقع بلادنا الخاص عبرت الشبيبة المدرسية لحد الآن عن طموحات هي أقرب منها إلى البرجوازية الصغيرة الراديكالية ، من قربها لأية فئة طبقية أخرى في المجتمع.

ب - المقدمة التاكتيكية

إن تجربة الحركة الشيوعية العالمية تبرز أنه إذا كانت الماركسية قد برزت داخل الحركة العمالية الغربية في أربعينيات القرن 19 ، فإنه لم يتجلى خلال هذه المرحلة نضال سياسي متميز داخل الشبيبة المدرسية ، إلا أن التجربة الروسية ، تؤكد أن الشبيبة المدرسية لعبت دورا في رفع الشعارات السياسية خلال نضالاتها ، في وقت كانت فيه الحركة العمالية في روسيا عاجزة فيه عن ذلك. و يسجل لينين ذلك بقوله في 1900 ما مضمونه أن الوقت الذي كانت فيه الشبيبة المدرسية تخوض لوحدها النضال السياسي قد بدأ يولي ، و لقد أصبحت الحركة العمالية و الاشتراكية الديمقراطية داخلها ، قادرة على خوض النضال السياسي ضد القيصرية. و يقول لينين في مجال آخر بأن الوقت الذي كانت فيه حلقات الاشتراكية الديمقراطية الروسية تضم العديد من الطلاب و قلة من العمال قد مضى ، و إن حلقاتنا اليوم تضم العشرات و المئات من العمال في كل أنحاء روسيا ، و من هنا نخلص إلى أن لينين لم يكن يسجل دور الشبيبة المدرسية في النضال السياسي ، إلا كظاهرة سلبية ، تعتبر المهمة الأولى و الأولية للشيوعيين ، هي تجاوزها بالاندماج المباشر بالطبقة العاملة ، و حركتها ، و دفع نضالاتها خطوات إلى الأمام ، لكي ترقى إلى مستوى تحمل مسؤولياتها التاريخية.
أما التجربة الصينية ، فمن بين الأحداث البارزة فيها أحداث 4 مايو ، التي لعبت فيها الشبيبة المدرسية دورا كبيرا ، إلا أن خصوصيات النضال السياسي في الصين أدت إلى تجاوز دور المثقفين عموما ، بما فيهم الشبيبة المدرسية ، بسرعة كبيرة ، و لم يكن للشبيبة دور متميز كقوة إلا في المرحلة ما قبل 1919⁴⁰.

إن تاريخ حزب العمل الألباني يؤكد على دور الشبيبة المدرسية في النضال السياسي خلال التجربة الألبانية ، كما يبرز بشكل عام موقع شرائح البرجوازية الصغيرة الهائل داخل حزب العمل. و من خلال إستقراءنا لهذه التجربة ، نجد أنه في خلال مرحلة ما قبل التأسيس للحزب لعبت الشبيبة المدرسية دورا نضاليا هاما ، خاصة و أن الطبقة العاملة حينذاك ،

40. إن ادعاء الكاتب بأن الشبيبة لم يكن لها دور متميز بالنسبة للصين إلا في ما قبل 1919 ، قول لا يستند على حقائق تاريخية ، و لا مزيد للتفصيل.

لم تكن تتجاوز عدديا بضعة آلاف ، و كان النمط الحرفي للإنتاج واسع جدا .
و هكذا فإننا نخلص ، من خلال إستعراضنا لبعض التجارب (و لو في عموميتها) بالنسبة للحركة الشيوعية العالمية ، إلى أن دخول الشبيبة المدرسية معمعان النضال السياسي ليست ظاهرة جديدة ، و إنما كانت مسألة قائمة تاريخيا في تجارب عدة ، منذ بداية القرن الحالي ، و نخلص أيضا ، إلى أنه في إمكان الشبيبة المدرسة أن تعبر في ظروف محددة ، أو في ظل مرحلة بأكملها ، عن مطالب سياسية مكشوفة تكون القطاعات الجماهيرية الأخرى دون مستوى التعبير عنها ، في ذلك الظرف أو المرحلة ، إلا أن الشيوعيين تاريخيا لم يعملوا على تنظير هذا الواقع و تشريع إستراتيجيته ، بل إعتبروه دوما عنصرا سلبيا ، من مهامهم الأكثر أولوية تجاوزه ، بإعطاء الطبقة العاملة دورها الطبيعي .
إن واقع الصراع الطبقي ببلادنا ، أبرز دور الشبيبة المدرسية كأحد المواقع النضالية في مواجهة الاستعمار ، و ذلك تحت قيادة سياسية طبقية برجوازية الطبيعة ، مترسخة في عدد من المواقع الجماهيرية الأخرى ، و ملقبة بـهيمنتها حتى داخل الحركة العمالية المغربية . و لن نغفل هنا ، أن المناوشات الأولى للبرجوازية المغربية مع الاستعمار ، إنطلقت في بداية الثلاثينات من "القرويين" ، و من تشكيل جمعيات الشبيبة بالرباط و فاس تضم شباب مثقفين ، و هذا ليس فريدا من نوعه على الإطلاق ، ذلك أن البرجوازية في كافة المجتمعات تعتمد في نشاطها السياسي على الفئات المثقفة بشكل كبير .

إلا أن مرحلة الاستقلال الشكلي ، سجلت منعطفا جديدا و بداية مسيرة جديدة بالنسبة للشبيبة المدرسية ، خاصة منذ مؤتمر أزرو في مطلع الستينيات لأوطم ، و لقد إرتبطت الشبيبة المدرسية خلال الستينات بالإتجاه الرديكالي البرجوازي الصغير داخل إوق ش (الاتحاد الوطني للقوات الشعبية) ، و عبرت في 65 عن رفضها للنظام القائم بوضوح .
و في سنة 69 ، برز في صفوف الشبيبة المدرسية إتجاه سياسي جديد ، تجسد في الحملم ، و على قاعدة توجهات سياسية ثابتة ، لم تعد لها تجليات ظرفية ، و إنما تحولت إلى مستوى تصور سياسي عام ، عبرت عنه كل الصراعات التي دارت في المؤتمر 14 لأوطم و مقررات مؤتمره 15 ، و النشاط في صفوف حركة التلاميذ . إن هذه التوجهات السياسية للشبيبة المدرسية جعلت من حركتها منذ الاستقلال الشكلي إلى يومنا هذا ، و التي كانت من ميزات الاساسية الحلقية المدقعة .

هذه هي الأسباب التي تبدو لنا بشكل أولي كعناصر حالت في وجه عملية التوحيد داخل الحملم ، و التي تدفعنا إلى اعتبار إستحالة تحقيق هذه الوحدة خارج الأقطاب التي تعرف سيرورة التشكل حاليا .

خاتمة

1- إن النقد للأطروحات التي عالجناها هنا ، لازال ناقصا ، و لم نتطرق هنا لعدة قضايا مرتبطة به ، نذكر منها على سبيل المثال ، خطط الحملم في العمل داخل الطبقة العاملة ، مسألة السرية و الاحتراف كتصور و كتجربة عملية عند الحملم ، مسألة مناطق الصدام عند منظمة إلى الأمام ، موقعها بالنسبة لمفصلة الحزب ، مسألة الجبهة و علاقتها بالحزب ، علاقة الحزب بالنضال الديمقراطي ، و مسألة العنف ...إلخ .

من وثائق الصراع داخل المنظمة الماركسية اللينينية المغربية "إلى الأمام"
الخط اليسراوي العفوي الجديد: من النزعة العمالية الاقتصادية إلى التصوفية و الفوضوية و العدمية

كما أننا نعتبر أن هذا النص ، حتى ولو عالج هذه القضايا ، لا يمكن أن يشكل تقييما إلا من خلال استيعاب الشروط الطبقيّة التي أنتجت كافة هذه التصورات ، وهذا شيء لا يمكن أن تعوضه بعض "الفلاشات" الواردة هنا. إن أهمية هذا النص تكمن في محاولته نقد بعض التصورات الأساسية في أطروحات الحملم ، ذلك ، باعتبار أنه إذا كان الوعي بفشل الممارسة السياسية للحملم حاصلًا اليوم بالنسبة لأغلب اتجاهاتها ، إلا أن عملية نقد الفكر السياسي الذي برر هذه الممارسة لازالت متخلفة ، ولا زالت الأطروحات الأساسية للحملم تشكل قاسما مشتركا لمجموع اتجاهاتها التقليدية أم "الجديدة".

2- إن الحكم التاريخي على تجربة الحملم ، يستلزم وضوحا نظريا بالنسبة للثوريين حول المهمات الراهنة ، الشيء الذي يغيب في هذا النص ، نظرا لما يتطلبه هذا من إنطلاقة ممارسة ثورية نقيضة في ساحة الصراع الطبقي ، وهو شيء ، يجب تسجيل غيابيه وبشكل حاد لحد الساعة ، وفي الأخير ، إن هذا النص وجهة نظر متواضعة تبحث عن الحقيقة الثورية ، وهي موضوعة للنقد و الصراع.

ب.ز

1979/12/12



حول أزمة اليسار الجديد¹

بقلم: عبد الكريم الإدريسي

مرت أكثر من عشر سنوات على نشوء إحدى القوى السياسية ، التي كيفما كان الموقف منها ، أحدثت ، و تركت تأثيرات فكرية و سياسية في المجتمع . و الاتجاه الذي نتحدث عنه هو الحركة الماركسية-اللينينية . الآن تبرز هذه الحركة في مظهر مخالف لحالة النشأة . فقد انقسمت إلى عدة اتجاهات ، منها من لازال متمسكا بالمبادئ الأساسية الأولى التي انطلقت منها ، و يوجد من يبتعد عن تلك المبادئ إلى هذا الحد أو ذاك .

تنبيه: كل الهوامش من وضع موقع "30 غشت" .

1. صدرت هذه الوثيقة ، حسب التاريخ المذكور أعلاه ، في مجلة "الجسور" المغربية . و صاحب المقالة هو عبد الفتاح الفاكيهاني ، عضو سابق في منظمة "إلى الأمام" منذ انطلاقتها الأولى ، أصبح عضوا في لجنتها الوطنية ، منذ الندوة الوطنية الأولى ، التي حضرها كممثل عن القطاع الطلابي ، و تم اعتقاله في الحملة القمعية التي تعرضت لها المنظمة و الحمل ، خلال سنة 1972 ، و بعد سنة من اعتقاله ، تم إطلاق سراحه بعد محاكمة الدار البيضاء في غشت 1973 ، و بعد شهور قليلة ، التحق من جديد بقيادة المنظمة ، حيث تم إدماجه كعضو جديد في الكتابة الوطنية ، و بعد اعتقالات نونبر 1974 —يناير 1975 ، ساهم في قيادة المنظمة إلى جانب المشتري بلعباس ، حيث كانا آخر ما تبقى من أعضاء الكتابة الوطنية ، و في أواخر 1975 ، تم اعتقاله من جديد ، و توالى حملة الاعتقالات إلى أن تم اعتقال آخر أعضاء الكتابة الوطنية ، و اللجنة الوطنية ، و هما على التوالي المشتري بلعباس و الصافي حمادي . و بعد انتقاله إلى السجن المدني -عين برجة- شكل إلى جانب المشتري بلعباس و عبد الله المنصوري و آخرين تكتلا مناهضا للخط الثوري للمنظمة ، والتي كانت تدافع عنه أطر المنظمة بالسجن المدني -اغبيلة- و بعد صدور الأحكام ، و انتقال المعتقلين إلى السجن المركزي بالقيظرة ، يوم مارس 1977 . و بعد نقاش معمق معه ، تعلق بأخطائه و بممارساته إلى جانب المشتري بلعباس و عبد الله المنصوري ، قدم نقدا ذاتيا ، و تم توقيفه من المنظمة ، بعد صدور قرارات يونيو 1977 ، و ظل منضبطا لقرارات المنظمة و مواقفها ، لحد أنه كان عضوا في لجنة المفاوضات التي فاوضت خلال نهاية معركة نونبر 1977 .

لكن ، في أواسط 1978 بدأ ينتقل إلى مواقف أخرى بالتدرج ، إلى أن أصبح عضوا أساسيا في خط العفوية التصفوي ، و شكل مع عبد الله زعزاع قطبا لهذا الاتجاه ، و من هذا المنطلق ، ساهم في توقيع بيان تجسيد العضوية من المنظمة ، في يونيو 1979 ، و بعد ذلك ساهم في إصدار توضيح العفويين ، الذي ميزوا من خلاله مواقفهم عن اتجاه المشتري بلعباس و عبد الله المنصوري ، و قاموا بشن هجوم واسع على المنظمة و خطها العام ، في إطار ما سمي بالدعوة إلى حل الفصائل الماركسية اللينينية و الذهاب إلى الطبقة العاملة كأفراد .

و رغم كل المحاولات التي بذلت من أجل إقناعه بالعودة إلى المنظمة و الدفاع عن موقفه ، تشبث برأيه ، و بذلك أصدرت قرارات 12 نونبر 1979 ، موقف طرده من المنظمة ، إلى جانب آخرين ممن مستهم القرارات . و قد كان لتلك القرارات أثر كبير على كل التيارات ، من أجل توضيح مواقفها ، فاضطرت إلى إصدار وثائق جديدة ، تفصح فيها عن مواقفها بشكل أكثر وضوحا ، و إلى هذه الموجة من الوثائق الصادرة بعد قرارات نونبر 1979 ، تنتمي هذه الوثيقة الثانية في الملف ، و ذلك إلى جانب "بيان إلى الشباب المغربي والرأي العام الديموقراطي" و "حول بعض التأملات النقد الذاتية الأولية لسنة 1979" إضافة إلى الوثيقة الأولى من هذا الملف . و إذا كانت الوثيقة الأولى في هذا الملف ، قد هاجمت مفهوم الحزب اللينيني ، و منظمة المحترفين الثوريين لدى الحمل ، فإن المقالة "حول أزمة اليسار الجديد" قد حاولت تصفية الحساب مع كل الإرث الإيديولوجي و السياسي و التنظيمي للحمل ، و قد حاولت الانتقادات المنتقاة من طرف الكاتب ، خدمة أطروحة المركزية ، ألا و هي أن الاشتراكية لم تكن سوى شكلا استغلاليا و اضطهاديا يحافظ على الرأسمالية ، و يقوم على قمع الشعوب ، من أجل الحفاظ على طبيعته . و بالتالي ، و كما يقول الكاتب ، فالصيغة الماركسية التي تبنتها الحمل ، كانت كلها تعتمد على زعماء كانوا رؤساء دول اشتراكية ، و بناءا عليه ، فكل الأساس النظري و الفكري و الإيديولوجي ، الذي يقوم عليه مشروع الحمل ، خاطئ بالأساس ، و قد حكم الكاتب على التجربة بالفشل كاتجاه عام . بهذه الأطروحة ، ودع الكاتب كل انتباهه السابق إلى الحمل ، و إلى حقل الفكر الماركسي اللينيني عموما ، و انتقل بطريقته الخاصة ، إلى ضفة الفكر البورجوازي ، و البورجوازي الصغير ، و انتهت أسطورة الذهاب إلى الطبقة العاملة ، بعد بضعة شهور عن إعلانها .

من أسباب هذا التشتت ، أن الحركة الماركسية² فشلت في تحقيق الأهداف التي كان من المسلم به نظريا ، أن تكون الآن منجزة ، و على رأسها بناء حزب ماركسي³ ، و كان ذلك يعني في الأدبيات ، الإعلان عن وجود حزب برصيد نظري هام ، و بتأطير واسع و صلب للطبقة العاملة ، حزب يستطيع قيادة نضالات الجماهير بوجه عام .
و الفشل مضاعف ، لأن الحركة الماركسية لم تستطع إنجاز هذا الهدف الأساسي من بين أهدافها ، و خرجت من تجربة عشر سنوات من العمل السياسي ، أضعف مما كانت عليه في بدء نشأتها⁴ .
السؤال الذي قد يتبادر إلى الذهن ، أمام أزمات من هذا النوع هو: هل الأمر يتعلق " بفهم و استيعاب و تطوير " الماركسية كفكر أم بالتطبيق ؟ لكن طرح السؤال بهذه الطريقة ، يتضمن ، أن الماركسية هي الطرف المثالي الخالي من أية مشاكل ، و أنها أيضا كمصطلح تعني شيئا دقيقا⁵ .
خارج هذا الطرح ، سيحاول المقال تحديد الأسباب الأساسية لأزمة الحركة الماركسية المغربية ، رابطا ذلك بأزمة الماركسية بوجه عام ، و سيرطح أفكارا للنقاش - يتحمل كل مسؤوليتها - أكثر مما يطرح بديلا متكاملا و أفكارا نهائية .

1. الإطار الإيديولوجي :

تشكلت في المغرب صيغة خاصة للماركسية⁶ ، انطلاقا من سنة 1970 .(لن نناقش هنا ماركسية حزب التقدم و الاشتراكية رغم علاقتها بالأولى⁷ .

هذه الصيغة تلتقي مع صيغ أخرى ، نشأت في البلدان الاشتراكية⁸ . فما هي مكوناتها ؟

1. المادية الجدلية :

لما نشأت الحركة الماركسية ، كان من ضمن الأسس التي تركز عليها ، الجانب الفلسفي في الماركسية أي المادية الجدلية⁹ ، و هي مجموع الأفكار الفلسفية لماركس و انجلز و لينين و ستالين و ماو تسي تونغ و جورج بولتزر ، الذي كان

2. يستعمل الكاتب مصطلح الحركة الماركسية بدل الحركة الماركسية اللينينية ، و ذلك على امتداد النص ، و ذلك أمر مقصود .

3. نفس الملاحظة ، تنطبق على استعماله مفهوم الحزب الماركسي بدل الحزب الماركسي اللينيني .

4. إن الحكم على تجربة بناء الحزب الماركسي اللينيني ، من طرف الحمل ، باعتماد عشر سنوات ، خاطئ ، لكون التجربة توقفت سنة 1976 ، بعد القمع الشرس الذي تعرضت له منظمة "إلى الأمام" .

5. يؤطر الكاتب في مناقشته للموضوع ، بنظرة غير جدلية لعلاقة النظرية بالممارسة ، كما لو أن علاقة النظرية بالممارسة ، ليست في حد ذاتها هي علاقة تناقض ، التناقض الذي يحرك وحدثهما باستمرار ، ونستشف من هذا الطرح لدى الكاتب ، وجود نظرية ثابتة ومطلقة لا تتطور من جهة ، ووجود وممارسة على طرف آخر هي الأخرى يجب أن تكون صحيحة ، لأن الطرف الآخر أي النظرية صحيح بشكل مطلق ، وهذا يعني قمة المثالية ، التي لا ترى سوى علاقة ميكانيكية ومثالية ، بين النظرية والممارسة .

6. يتحدث الكاتب دائما عن الماركسية بدل الماركسية اللينينية .

7. هل يتعلق الأمر بماركسية أم بتحريفية .

8. لا نفهم ما يريد الكاتب قوله ، إن هذه الصيغة تلتقي مع صيغ نشأت في البلدان الاشتراكية ، فلا علم لنا ، بضمون هذه الصيغة ، و لا من هي الدول الاشتراكية المقصودة ، و إن ظهر فيما بعد أن الكاتب يقصد جميع الدول المسماة اشتراكية ، دون مراعاة للمراحل التاريخية ، و لا للاختلافات النوعية .

9. هناك تعريف غامض للمادية الجدلية يعتمد على العموميات ، و الخلط بين الأسماء لحد إضافة جورج بولتزر إلى لائحة المنظرين الماركسيين .

تأثيره أكبر إلى جانب ماو تسي تونغ ، نظرا لبساطة كتاباتها و استعمالها لمنهج بيداغوجي تعليمي^{10 11}. كانت هذه المادية الجدلية بالنسبة لها ، و جهة نظر فلسفية مناضلة ، ليس فقط على المستوى: الفلسفي ، وإنما كذلك على المستوى السياسي ، بمعنى أن الصراع الفلسفي بين المادية و المثالية كان يوظف في الدعاية السياسية. ولعل ذلك راجع لظروف النشأة ، التي تتميز عادة بغلبة جانب النقد المتطرف لكل ما هو قائم ، و لم يلعب في العرف دورا سلبيا¹². لكن كون المغرب بلدا إسلاميا ، و بلدا فقيرا من حيث التقاليد الديمقراطية ، فإن ذلك كان يسهل اتهام أي مناضل ماركسي بالزندقة و الشعوذة... و في بلادنا لا زال لمثل هذه التهم و مع الأسف حظ كبير ، خصوصا و أن الأمية تساهم في تخليده ، و الأميون أكثر قابلية من غيرهم لتقبل الدعايات على العموم ، كيفما كانت يافطتها السياسية¹³. لكن مشكلا كبيرا يطرح نفسه باستمرار ، و يتجنب الماركسيون مناقشته بوضوح ، و هو نفور الغالبية العظمى للشعب المغربي من الفلسفة الماركسية و كل فلسفة مادية¹⁴ و بصدد الإسلام ، برزت وسط الحركة الماركسية ، مع الزمن بعض الأطروحات الجزئية جدا. فحين يتعلق الأمر بشخصيات معروفة الولاء للحكم ، يعتبر حديثها عن الدين ديماغوجية و شعوذة و فكرا غيبيا و تضليلا. و يتم إبراز التناقض بين تصريحات هذه الشخصيات و بذخها... المتناقض مع الإسلام ، مع جانبه المشرق ، التقدمي. فالإسلام إذن في هذه الحالة وسيلة تحتمي بها طبقة مستغلة ، و لكن حين يشار إلى الجانب المشرق أو التقدمي ، فإن الحركة تنزع من أيديها كل سلاح نظري أمام الاتجاهات السياسية التي تدعي بالضبط الدفاع عن هذا الجانب التقدمي. (لقد قرأنا عند رودنسون¹⁵ فكرة قريبة من الفكرة التي عبرنا عنها). و حين يتعلق الأمر بالجماهير ، تبرز فكرة أخرى تطرح أن الجماهير تجد عزاء في الدين و تحتمي به ضد الاستغلال و الاضطهاد. و يصبح الإسلام كما في حالة المستغلين وسيلة في غير محلها. لأن العزاء ليس بالنسبة للماركسيين و المناضلين عموما أفضل الوسائل لمقاومة الاستغلال و الاضطهاد¹⁶.

10. ياله من خليط عجيب ، يحاول التعريف بالجانب الفلسفي للماركسية ، خصوصا ، و أن صاحب المقال يتخلى عن استعمال مصطلح الحركة الماركسية - اللينينية و يستعمل مصطلح الحزب الماركسي ، و ب عد ذلك ، يحدد الجانب الفلسفي في الماركسية ، بأفكار الماركسيين - اللينينيين ، من أمثال لينين و ستالين و ماو ، أما إقحام جورج بوليتزر فلا مكان له في هذه اللائحة ، لأنه ببساطة كان ماركسيا - لينينيا يقدم عروضاً حول الماركسية ، و لم يقد أي ثورة من الثورات ، و لا يمكن وضعه في مصاف القادة المؤسسين الكبار.

11. إن الطريقة التي يتكلم بها الكاتب عن ماو تسي تونغ و بوليتزر ، باعتبار كتاباتها بسيطة ، تنم عن احتقار لهما ، و في نفس الوقت ، اعتبار الحركة الماركسية - اللينينية المغربية كانت ذات فكر بسيط.

12. لا يقدم الكاتب هنا نموذجا للنقد المتطرف.

13. إن الظاهرة ملازمة للحركة الشيوعية ، منذ نشأتها ، سواء قبل ماركس أو بعده ، و ظل توظيف الدين كسلاح في مواجهة الحركة الشيوعية العالمية ، ضمن مختلف الموجات المناهضة للشيوعية ، و لم تفلت من هذا أي قارة من القارات أو بلد من البلدان ، و لعل استعمال الدين في أوروبا الشرقية سابقا ، أو العالم العربي ، ضد حركة التحرر العربية - و لا زال مستمرا لحد الآن - هو دليل على أن الأمر ذو طبيعة عالمية ، تلجأ إليه مختلف البورجوازيات لمحاربة الحركة الشيوعية العالمية.

14. متى كان الشعب المغربي عارفا بالفلسفة الماركسية؟ بل و بكل فلسفة مادية ، بل و بأي فلسفة ، و إن كانت مثالية؟؟!!

15. مكسيم رودنسون: كاتب فرنسي ، ولد في 26 يناير 1915 و توفي في 23 ماي 2004 ، عالم لسانيات ، مؤرخ ، عالم اجتماع ، مختص في تاريخ الشرق الوسط و الإسلام ، ألف عدة كتب و اشتهر بالأساس بكتابه حول محمد الذي صدر سنة 1962 ، و بكتاب آخر "الإسلام و الرأسمالية" الذي صدر سنة 1966 ، بالإضافة إلى عدد من الكتب و المقالات و الدراسات.

16. الفقرة من بدايتها إلى نهايتها ، تتميز بكلام دون مضمون حقيقي ، فهل كان من المطروح ، عدم التطرق لديماغوجية و شعوذة فقهاء و علماء النظام ، ثم ألم يكن من الصواب مواجهة ادعاءاتهم حول الأخلاق السامية و الإيمان ، بممارساتهم التي كانت تناقض ذلك ، أو ليس هذا أسلوبا تحريضا

فالحركة كانت تعبر بشكل غير منتظم عن آراء تنسجم إلى هذا الحد أو ذاك مع إيديولوجيتها العامة ، متجنبه طرح السؤال الأساسي: كيف يجب التعامل مع مسألة الدين في النضال السياسي ؟ و بما أن تجنب المشاكل لا يحلها ، استمرت الحركة في الدعاية للمادية خارج إطاراتها الخاصة ، و أن الفئات التي كانت تتقبل ذلك هي أجزاء من الشبيبة المدرسية و المثقفين ، في حين أن العزلة كانت تتسع منذ الأصل تجاه الطبقات الشعبية¹⁷.

هذا الغموض يرجع من جهة إلى رسوخ الدين و في نفس الوقت إلى استمرار قناعة قديمة لدى الماركسيين استمرت منذ انجلز إلى الآن ، و هي أن الصراع بين المادية و المثالية سينتهي بانتصار المادية ، التي تندعم بالاكشافات و الاختراعات العلمية (كصنع المواد الحية في المختبرات) ، هذه الفكرة نشأت في عصر كانت فيه جدة و كثرة الاختراعات و الاكتشافات ، المرتبط بانطلاقة صناعية مذهلة ، نسبة للعهد السابق ، قد أدت بالفكر المثالي عموماً إلى الانحسار. هذا التطور ولد الوهم بإمكانية انحاء الفكر المثالي. و ها نحن نرى اليوم أن بعض نتائج هذه الانطلاقة الصناعة العلمية (العزلة الفردية، الاستيلاء التكنولوجي ...) ترمي بفئات واسعة من الشباب الأوربي و الأمريكي ، ليس نحو المسيحية ، و لكن نحو طقوس شديدة الغرابة¹⁸.

و طالما أن الإنسان يفكر في مجتمع مقسم إلى فئات متصارعة في المصالح و متباينة في أنماط العيش ، و يمر فكره بالضرورة عن طريق الإحساسات و يعيش مشاكل وجودية (كالموت و عدم اللمس التجريبي للامحدودية الكون و غيرها من المقولات الفلسفية) فإن معرفته للطبيعة و البشر ستبقى متعددة الأبعاد ، متباينة في التأطيرات الفكرية كيفما كان مستوى التقدم العلمي الذي هو دائماً نسبي¹⁹.

ماركسيا؟ ثم إن استعمال الجوانب المشرقة من تاريخ الإسلام ، ألم يكن أسلوباً صحيحاً لنزع تمثيليتهم لكل التراث العربي الإسلامي المتناقض ، أما الحديث ، عن الحركة التي تنزع من أيديها كل سلاح نظري أمام الاتجاهات السياسية التي تدعي بالضبط ، كما يقول الكاتب ، الدفاع عن هذا الجانب التقدمي ، فهذا كلام غير مفهوم لأنه لم يستعمل أدلة في ذلك ، أما نسبة هذا و ذاك من الأقوال إلى رودنسون ، هو الآخر غير مفهوم ، و بالنسبة للجماهير المحتمية بالدين ، ضد الاستغلال و الاضطهاد ، و هي الفكرة التي بلورها ماركس ، في كتاباته الأولى ، و طرحها في سيرورتها المتناقضة ، التي تجمع بين الزفير و الاحتجاج ، ففكرة مؤسسة ، بالنسبة للماركسيين فيما يتعلق بمواجهة المسألة الدينية ، بتحويل النقاش إلى الأرض ، بدل التركيز على نقد السماء ، و هذا هو سبيل تثير الممارسة ، عبر سيرورتها المتناقضة ، و هذه الأمور و غيرها لم يستطع الكاتب استيعابها ، كما لو أنها ممارسة سلبية من طرف الماركسيين .

17. هل يرد الكاتب العزلة تجاه الطبقات الشعبية كما يقول ، إلى المسألة الدينية ؟ مما يوحي أن الحركة الماركسية اللينينية كانت تبشر بأطروحاتها الإلحادية وسط الجماهير مما ، حسب هذا الزعم ، قد تسبب في عزلتها!! و هذا افتراء ليس إلا ، لا تؤكد له ممارسات الحركة و لا وثائقها.

18. إن النقاش الذي يطرحه الكاتب ، ليقوم على الخلط المتعمد بين أفكار التقدم البورجوازية ، التي سقطت في النزعة العمومية (العلم مفتاح كل شيء) ، و الفكر الماركسي- اللينيني ، الذي يعتمد على الفلسفة و العلم ، في معالجه لقضايا التقدم و المعرفة ، و علم الجمال ، و علاقة الإنسان بمحيطه البيئي ، ضمن جدلية الإنسان و الطبيعة ، و علاقة ذلك بنمط الإنتاج الاقتصادي (الرأسمالية حسب ماركس تدمر الإنسان و الطبيعة) ، و الحديث عن الصراع بين المادية و المثالية ضمن سيرورة تطور الفكر الإنساني ، و انتصار المادية بالطريقة الفجة التي يتكلم عنها الكاتب ، فلا علاقة له بالطرح الماركسي – اللينيني ، و يكفي قراءة كتابات لينين في هذا المجال ، التي تؤكد استمرار هذا الصراع لمدد طويلة ، أما الحديث عن الشباب الأوربي و الأمريكي و اعتناقه لمجموعة من المعتقدات ، فلا بد من ربطه بسياق المجتمع الاستهلاكي ، و ما يولده من إحساس بالضياع و الاستيلاء و قلق وجودي ، يولده الخوف من الموت الذي تسببه الحروب الامبريالية المدمرة في بلدان العالم الثالث.

19. إن الحديث عن الحالة الإنسانية ، سواء في بعدها الوجودي أو غيره ، فقد أطنبت الماركسية في الحديث عنه ، منذ تقسيم العمل الاجتماعي الأول (بين المرأة و الرجل في المشاعة البدائية) ، ثم تقسيم العمل الاجتماعي الثاني (بين المزارعين و الرعاة) ، ثم تقسيم العمل الاجتماعي الثالث (بين المزارعين و الحرفيين) ، و ظهور طبقة جديدة غير مرتبطة بالإنتاج لأول مرة ، نعني بها طبقة التجار ، و سيطرتها على الفئات و الطبقات الأخرى المنتجة ، و ظهور المجتمع الطبقي و الدولة الطبقية ، و اتساع دائرة تقسيم العمل (بين العمل اليدوي و الفكري) ، و انتقال المجتمع البشري إلى الحضارة بظهور

ننتهي بهذه الفكرة ، ليس إلى قدح الصراع بين المذاهب الفلسفية ، ولكن إلى نقد فكرة الانتصار الساحق الكلي لفلسفة معينة على الفلسفة أو الفلسفات الأخرى ، بمحوها على صعيد مجتمع بأسره أو على صعيد البشرية كلها. إن اتباع هذا السبيل لا جدوى منه ، و ينتهي بأصحابه إلى مأزق كبيرة ، و خصوصا إذا وظفت الأجهزة السياسية في العمل على تحقيق هذا الانتصار المستحيل. و لا نعتقد أنه يوجد الآن من يثق بادعاءات قادة حزب العمل الألباني حول القضاء النهائي على الأديان.

نتوقف عند هذا الحد لأنه ليس من موضوعنا مناقشة منزلقات الحملات الدينية التبشيرية و نتائجها²⁰.

2- الصراع الصيني – السوفياتي و الثورة الثقافية

الفكر السياسي للحزب الشيوعي الصيني ، كان أقوى منابع فكر الحركة الماركسية ، و يرجع ذلك للوزن العالمي للصين كبلد اشتراكي ، و لكونها بلدا من العالم الثالث ، و لجذرية مواقفها السياسية تجاه حركات التحرر الوطني في نهاية الستينات. و من بين ما نقلته الحركة دون تمحيص كبير عن التجربة الصينية ، المضامين الملموسة الصينية لمفهوم التحرير الشعبي بقيادة البرولتاريا وحزبها السياسي ، و هي مضامين تقترب قليلا من تلك التي أعطاها الفتناميون لنفس المفاهيم. لقد تبنت الحركة الماركسية مجمل الاستراتيجية الصينية لفترة الثلاثينات²¹.

ما كان يشجع على عدم التساؤل العميق حول هذه الاستراتيجية ، أن الحكم دخل منذ 1970 في مرحلة اهتزازات لم يتم تجاوزها إلا مع نهاية 1973.

وقد تمت داخل الحركة أفكار تجعل من الجماهير كيانا مقدسا مستعدا لكل شيء ، و في كل حين لولا سياسة "الإصلاحين" أو "البيروقراطية"²².

وقد تبنت الحركة الماركسية كذلك ، الموقف الصيني من الاتحاد السوفياتي ، وملخصه أن الاتحاد السوفياتي أصبح دولة تحريفية وربما رأسمالية ، و أن عداها لستالين هو عداها لدكتاتورية البرولتاريا و الاشتراكية. والغريب في هذا النقد ، هو أن الاتحاد السوفياتي مباشرة بعد 1960 تحول فجأة إلى بلد تحريفي ورأسمالي. منذ 1970 كانت مجموعة "المانفستو" الإيطالية قد تساءلت حول هذا التحول ، و حاولت تفسيره بإرجاع جذوره إلى مرحلة حكم ستالين. لكن التأثير الإيديولوجي والسياسي للصين ساهم في إنقاص تجربة ستالين من النقد ، الشيء الذي كان يبرر كل سياسات الحزب الشيوعي للاتحاد

المدن ، و توفر شروط نشأة الفلسفة و العلوم ، و تحول الدين ، من دين طبيعي بدائي ، إلى دين اجتماعي مرتبط بالمجتمع الطبقي ، و تطور الصراع الطبقي ، على قاعدة تطور الطبقات ، المرتبطة بالبنية الاقتصادية للمجتمع ، إن هذا وغيره ، في الكتابات الماركسية ، و من بينها ، نقد ماركس لهيجل و فيورباخ حول جوهره المزعوم للإنسان و للدين الطبيعي ، كل هذا تزخر به الماركسية في أجوبتها المختلفة و المتعددة الأبعاد حول الوجود الإنساني و طبيعته و جوهره الحقيقي ، و لمشروع الشيوعي كسيرونة ثورية من أجل القضاء على كل أشكال الاستغلال و الاستغلال و الاضطهاد ، يهدف إلى تحرير الإنسانية من كل الأوهام التي يزخر بها ما قبل التاريخ الإنساني ، و ذلك من أجل الانتقال من ملكوت الضرورة إلى ملكوت الحرية ، و من حكم الإنسان إلى حكم الأشياء ، كل هذا أغنى بكثير من اختزال الماركسية و الشيوعية في انتصار وحيد الجانب للعلم ، أبدا لم تكن الماركسية علموية.

20. يقوم الكاتب بمجموعة من الادعاءات ، بدون حجة أو سند ، بل تقوم بترويج ما تزعمه الآلة الإعلامية الامبريالية الغربية تجاه الدول الاشتراكية ، و يكفي التذكير بالمفهوم الماركسي اللينيني للعلمانية ، و تفوقه على المفهوم البورجوازي لها ، (انظر كتابات لينين حول الدين ، و منها نص مقالة "الاشتراكية و الدين ...")

21. لعل الكاتب ، يريد أن يراجع هنا مفهوم الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية ، الذي تبنته الحلم ، لكنه افتقد للجرأة في تسمية الأشياء بمسمياتها.

22. تمتلأ الفقرة بعدة تناقضات ، منها ، أن الحلم تبنت استراتيجية ت و د ش ، في علاقة مع ضعف النظام ، و ليس في إطار منظور شامل ، و هذا لا يستند على أي أساس ، أما ربط تقديس الجماهير و الاعتقاد بخوارقها ، بالإصلاحين و البيروقراطية النقابية ، لجهل تام بالتجربة التاريخية.

السوفيياتي منذ 1924 حتى 1960 ، و يعطيها بالتالي صبغة النموذج الاشتراكي. وإنه لمعبر ألا تنشر الكتابات التي ينتقد فيها ماو ستالين ، ولو جزئيا ، إلا متأخرة ، ومن طرف مراقبين أجنب ²³.

وتأثرت الحركة أيضا بأساليب الصراع السياسي التي انتهجت في الثورة الثقافية ، والتي تستند إيديولوجيا على الفهم الصيني الثنائي للديالكتيك: في كل شيء يوجد ضدان متصارعان ، ضدان اثنان ، بالمعنى الحسابي. فداخل الحزب مثلا ، يوجد خطان: الخط البورجوازي والخط البروليتاري. و إذا حدث أن تواجدت عدة خطوط ، فأحدهما بروليتاري ، والباقية منوعات لا غير. و الاتجاه المسيطر هو الذي كان يقرر في صحة الخط الفلاني أو خطئه. فالخلاف مع اتجاه أو فكرة معينة ، إما يرفع المرء إلى عرش الخط البروليتاري أو يهبط به إلى حضيض الدفاع عن المصالح الطبقة للبرجوازية ²⁴.

و كان لهذا الخيار الصعب أثر في دفع المناضلين إلى تجنب الصراع الأيديولوجي و السياسي و التسليم بما ينزل من فوق. إن هذه التوجهات هي بالطبع مغربية. و التأثيرات الصينية و غيرها تساعدها بالأطر و القوالب المناسبة ، الشيء الذي يزيدا قوة في قوة ²⁵.

و مرورا نقول إن تاريخ الصراع السياسي في المغرب ، منذ لم يكن للصين ولا للبلدان اشتراكية أي تأثير كبير ، كان مطبوعا بالإجهاز على المواقف المخالفة و المعارضة. فعلى هذا المستوى لم يضاف أي جديد ²⁶. و تبنت الحركة الماركسية أيضا موقف ستالين و الحزب الشيوعي الصيني من التروتسكيين ، باعتبارهم إما عملاء

23. يتكلم الكاتب عن الموقف الصيني و تبنيه ، كما لو أن ذلك الموقف ، كان تحولا نوعيا في فضح التحريفية العالمية ، ثم إن الأطروحة الصينية ، حول التحول الذي عرفه الاتحاد السوفيياتي لأكثر تقدما مما يتصوره الكاتب ، ذلك أن اليسار الماركسي – اللينيني الثوري عبر العالم ، قد اعتمد عليها لتطوير تقييمه لتجربة الاتحاد السوفيياتي بما فيها المرحلة الستالينية ، و لا تشكل مجموعة "المانفستو" الإيطالية ، استثناء في ذلك (مجموعة "المانفستو" تشكلت بعد تأسيس المجلة ثم الجريدة فيما بعد السياسية ، بنفس هذا الاسم في 24 يونيو 1969 ، و ذلك من طرف مجموعة انشقت عن الحزب الشيوعي الإيطالي التحريفي ، و ذلك بقيادة ألتو ناتولي و لويديجي بانتوك و روسانا روساندا ، و قد تم طرد هؤلاء و آخرين من الحزب ، بعد إدانتهم للغزو السوفيياتي لتشيكوسلوفاكيا ، و قد تحولت المجموعة فيما بعد إلى حزب سياسي يساري) ، إن الكاتب كذلك ، يقوم بخلط للأوراق ، سواء فيما يخص مواقف ماو من التجربة السوفيياتية ، وأسباب انتصار التحريفية فيما بعد ، و لم تنتظر تلك المواقف مجموعة من المراقبين الأجانب لنشرها ، فهذا محض افتراء على الحقيقة ، أما الادعاء لترويج نموذج اشتراكي ، على الطريقة السوفيياتية ، خاصة بالنسبة للمرحلة الستالينية ، فرغم اعتبار ستالين ماركسيا لينينيا ، و اعتبار تلك التجربة غنية بالإسهامات في مجال الصناعة و الثقافة و العلوم و الصحة و الشغل... ، فإن التجربة الصينية كانت لها إسهاماتها الخاصة ، كمستفيدة من الدروس السوفيياتية و من دروسها كذلك ، فطورت نموذجا متقدما لعلاقة الصناعة بالزراعة ، في إطار نموذج متقدم للكومونات الشعبية ، بل قدمت نموذجا متطورا للحفاظ على البيئة... و من هنا نشطت الكتابات الكثيرة الفرنسية منها و الانجلوساكسونية ، و التي شكلت إغناء كبيرا للتجربة الاشتراكية ، و هذا يفند أقوال الكاتب.

24. إن الأطروحة الصينية ، حول صراع الخطين داخل الحزب ، هي استخلاص لأحد دروس الحركة الشيوعية العالمية التي لم تخل من صراع بين الخطوط ، و أمام تفكك و انحلال العديد من الأحزاب الشيوعية في تجارب بناء الاشتراكية و غيرها ، بلورت الثورة الصينية بقيادة ماو تسي تونغ ، قانون صراع الخطين ، داخل الحزب ، إلى جانب الصراع بين القديم و الجديد ، باعتبارهما قوانين لتطور سيورة الحزب الماركسي اللينيني ، المسلح بالماركسية اللينينية ، و بأسلوب النقد و النقد الذاتي ، و خدمة الجماهير ، و الحفاظ على وحدة الحزب بمنظور شيوعي ، ضمن مبدأ وحدة – نقد – وحدة. و أغنت التجربة الصينية تجربة حل التناقضات في صفوف الشعب ، بمفاهيم جديدة ، تميز بين مختلف التناقضات ، إن الكاتب يعبر هنا عن رفضه لخوض الصراع الإيديولوجي و السياسي ، بعيدا عن أي منظور طبقي ، و هذا لقمة التحريفية ...

25. إن أسباب ضعف أو قلة الصراع الإيديولوجي و السياسي ، لا يعود لتبني هذه الأطروحة الصينية كما يدعي الكاتب ، بل يعود إلى أسباب سياسية و تنظيمية ، ذات صلة بالخطوط التي تحكمت في تجربة الحزب ، ثم إن تجربة الحزب لم تكن تخل من صراعات سياسية و إيديولوجية ، و لكنها لم تكن عدائية ، يشهد على ذلك و تأئقها.

26. إن اعتبار كل تجربة الحزب ، تجسيدا لأساليب خاطئة في الصراع و الإجهاز على الآخرين ، لتجني على الحقيقة ، و لم يظهر هذا الشكل إلا بعد 1976 داخل السجون ، بظهور اتجاهات يسراوية متطرفة تشخص الصراع السياسي و الإيديولوجي.

الامبريالية أو مجموعة من المخربين أو الإباحيين! هذا الموقف لم ولن يكون له أثر سياسي مباشر ، لأنه لم يوجد اتجاه تروتسكي يذكر بالمغرب ، ولكنه يبين مدى قابلية الحركة الماركسية لهضم أطعمة جاهزة كيفما كان تركيبها. من هو تروتسكي؟ ما هي مواقفه ، كيف قتل ، ما هو البعد التاريخي لخلافه مع ستالين ، هل اطلعنا على مؤلف واحد من مؤلفاته... هذه الأمور لم يكن ينتبه لها الكثير²⁷.

3- تقييم هزيمة 1967 و أبعاده:

هزيمة 1967 هزت العالم العربي. وشكلت منعطفا تاريخيا في تفكير و ممارسة عدة حركات سياسية عربية. وخضعت لتحليلات توجه أصابع الاتهام لجهات مختلفة. و التقييم الذي تبنته الحركة الماركسية المغربية كان للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين. هذا التقييم كان ينشر على صفحات مجلة الحرية ، و نشرة الثوري ، يتلخص في ما يلي:
انهزم الجيش المصري ، و التفسيرات العسكرية هي ذات طابع تقني تبريري. المشكل يكمن أساسا ليس في الأخطاء العسكرية ، و إنما في البنية الطبقيّة للنظام المصري التي حتمت عليه أن ينهج حربا كلاسيكية خاسرة. و النظام المصري يدخل ضمن الأنظمة البرجوازية الصغرى العربية التي لعبت لفترة دور المعبر و المدافع عن بعض مطامح الجماهير. لكن الهزيمة تكشف عن عجزها على قيادة حركة التحرر الوطني العربية حتى النهاية ، هذا العجز المسجل في طبيعتها الطبقيّة. و الهزيمة هي تسجيل للإفلاس التاريخي لهذه الطبقة في عجزها على إنجاز هذه المهمة المطروحة منذ 1967 على عاتق البروليتاريا و اليسار الماركسي. و يمكن تركيز هذا التلخيص في عبارة واحدة: الإفلاس التاريخي للبرجوازية الصغرى في قيادة حركة التحرر الوطني العربية.

لقد انتشرت هذه الأطروحة في صفوف الحركة الماركسية المغربية بسرعة الحريق ، و ذلك في وقت كانت فيه الأحزاب المغربية التي يطلق عليها بورجوازية صغيرة²⁸ تعاني من عزلة سياسية كبيرة و أزمات داخلية حادة. لم ينتبه أحد إلى أن إسرائيل انتصرت بأسلوب كلاسيكي برجوازي (هجوم سريع بالطيران) ، و ليس بأساليب بروليتارية²⁹. نقول هذا لتبيان تراجع أبسط الأسئلة المنطقية أمام قوة الإيديولوجيا ، (التي كانت تشير ضمنا إلى قوة إسرائيل

27. لم تكن التروتسكية كخط إيديولوجي ، في مغرب السبعينات مطروحة للنقاش ، فلم تكن هناك حركة تروتسكية بالمغرب ، أما ادعاء جهل الحركة الماركسية اللينينية بالأطروحات التروتسكية ، فأمر فيه مبالغة ، فأغلب أطر الحملم كانت مطلعة على التجربة البلشفية ، و صراعات لينين و تروتسكي ، و مواقف ستالين و كتاباته في الموضوع ، فمن من هاته الأطر لم يكن على علم بالأطروحة المركزية للتروتسكية ، حول ما يسمى ب "الثورة الدائمة" ، التي سماها لينين ثرثرة دائمة ، فكتاب تروتسكي ، "حصيلة وآفاق" كان مقروءا و و .. إن انتماء الحملم إلى خط الثورة العالمية بقيادة ماو تسي تونغ و الثورة الألبانية لأمر معروف ، و من باب تحصيل حاصل ، أن تكون للحملم موقفا من التروتسكية ، و هي مواقف إيديولوجية و سياسية من قضايا ملموسة ، مثل الموقف من فلسطين ، و الثورة الدائمة ، الفلاحين ، مفهوم الحزب ، التسرب إلى التنظيمات الشيوعية و تنظيم انشقاقات داخلها ، رفض المركزية الديمقراطية و العمل بالتيارات ... كلها أمور تثبت أن الحملم كانت لها مواقف من ذلك ، أما استعمال الإباحية و غيرها فهذه أشياء لم تكن منتشرة ، و إن كان هنام سلوك قد تم اكتشافه بين المناضلين التروتسكيين الأجانب ، ف هذه أمور لم تكن هي أساس المواقف ، فالماركسيون اللينينيون و التروتسكيون خطان إيديولوجيان مختلف في النظر للثورة العالمية الاشتراكية ، و لحركات التحرر الوطني ، و للتحالف العمالي الفلاحي ، و في تقييم تجارب بناء الاشتراكية ، و في منظور الحزب الثوري ...

28. إن النقد الماركسي اللينيني للأحزاب البورجوازية الصغيرة ، يعتمد على الموقع الطبقي لهذه الطبقة ، و على البرنامج السياسي للأحزاب المعبرة عن مصالحها ، ثم الوضع البنوي للبورجوازية الصغيرة ، في سيرورة التقاطب بين البروليتاريا و البورجوازية ، و في سيرورة الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية ، التي لا تستطيع البورجوازية الصغيرة قيادتها ، لأسباب بنوية ، و لعدم قدرتها بناء مشروع ثوري خارج الارتباط بالنظام الرأسمالي الامبريالي ، مما يحكم على تجاربها بالتحوّل إلى خدمة الكومبرادور و الامبريالية. إن الحكم أعلاه صحيح ، سواء كانت هذه القوى تعاني من أزمة و عزلة أم لا.

29. تشكيك في الأطروحات الماركسية اللينينية التي أثبتت صحتها في الصين و الفيتنام و الكامبودج و كوبا...

بعبارة التحالف أو الثالث الامبريالي-الصهيوني-الرجعي)³⁰.
و تحليل الجبهة الديمقراطية قطع بسهولة خارقة عدة مسافات نظرية: هزيمة 1967 عسكرية- ليست فقط عسكرية- النظام المهزوم برجوازي صغير-البرجوازية الصغرى عموما ليس لها نفس طويل- حجم الهزيمة عنوان على الإفلاس التاريخي للبرجوازية الصغرى العربية.
فالذي أفلس حسب تحليل الجبهة الديمقراطية ، ليس نظاما عربيا أو مجموعة أنظمة فحسب ، وإنما طبقة اجتماعية بكاملها في كل العالم العربي.

البعد السياسي لهذا الانزلاق ، أن ما نعتت به بعض الأنظمة ، و ما اتخذ اتجاهها من مواقف ، سيتخذ اتجاه كل الأحزاب و النقابات و الشخصيات العربية ، التي يصح حسب التحليل الماركسية ، نعتها بأنها برجوازية صغيرة³¹.
-منطق تراتب أنماط الإنتاج في خط استوائي كما طرحه ستالين (المجتمع البدائي ، الرق ، الإقطاع ، الرأسمالية ، الاشتراكية) ، يجد هنا تجسيدا له على مستوى الطبقات: الإقطاع (ثورة عز الدين القسام) ، البرجوازية الصغرى (ثورة 22 يوليوز ، و الثورة بقيادة فتح) ، ثم البرولتاريا أو اليسار الجديد³².

و قد حدث أن طبق نفس النهج على الحركة الطلابية المغربية ، الشيء الذي جسده أحد المناضلين في المؤتمر الرابع عشر للاتحاد الوطني لطلبة المغرب ، إذ قسم تاريخ النقابة إلى حقبتين كان المؤتمر الرابع عشر ، كما رآه ، بمثابة إغلاق للثانية منهما: سيادة البرجوازية الوطنية في النقابة إلى حدود 1959 ، ثم سيادة البرجوازية الصغرى إلى حدود المؤتمر الرابع عشر ، أي سنة 1971 ، و ما يتبع المؤتمر هو مرحلة سيادة اليسار³³.
و فيما يخص خطأ تقييم هزيمة 1967 ، فقد بينت حرب أكتوبر أنه ليس ضروريا أن يكون نظام عربي معين ، اشتراكيا ، و لا تقدما ، ليهاجم و يصمد في وجه إسرائيل ، كما ليس ضروريا أن يلجأ إلى حرب "غير كلاسيكية". و تبين أن للتحالفات الدولية وزن هام في تقرير مصير حروب من ذلك النوع (دور صواريخ سام السوفياتية). أما الأنظمة العربية المسماة برجوازية صغيرة ، فقد تدعمت منذ 1969 بالنظام الليبي ، و لا زالت عدة منظمات تنعت بالبرجوازية الصغرى ، تلعب أدوارا نضالية ذات وزن على صعيد العالم العربي كله. و حين يلجأ شعب مقهور إلى أساليب بسيطة في الحرب ، فليس حبا في طول أمدها ، و لكن يفعل ذلك لضعف إمكانياته المادية ، بشرية كانت أم عسكرية. و توصل م. ت. ف (المقصود هنا منظمة التحرير الفلسطينية) إلى المزوجة الراهنة بين أساليب حرب العصابات و الحرب النظامية ، يفسر

30. حسب هذا الطرح ، فالهزيمة عسكرية و انتهت ، و لا علاقة لها بالبنية الطبقة للنظام المصري ، نحيل هنا لكتاب "الصراع الطبقي في مصر" ، محمود حسين ، دار الطليعة ، بيروت ، و نسخته بالفرنسية عن سلسلة ماسبير ، و التي كانت مقرونة آنذاك ، و لم يشر لها الكاتب لغرض في نفس يعقوب ، علما أن الكتاب حظي بشهرة عالمية و كاتبه أو كاتبوه ماركسيون لينينيون.

31. إن تقييم هزيمة 67 كان حاضرا و لأشك ، و لكن ليس بالمعنى الذي يعطيه الكاتب ، فقد كان جوابا على الصدمة التي أصيبت بها الجماهير المغربية ، التي كانت آنذاك تتعاطف كثيرا مع النظام الناصري ، و كان في المغرب قوى سياسية تنهل كثيرا من الإيديولوجية الناصرية (الاتحاد الوطني للقوات الشعبية نموذجا) ، أما تقييم القوى السياسية التحريفية أو الإصلاحية ، فقد أطلقت انتفاضة 1965 التي كانت بحق نقدا دمويا لتلك القوى ، و على قاعدة هذا النقد ، تشكلت تدريجيا الأنوية الأولى للحلم ، و الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين ، لم تشكل إلا في 1968 ، بعد انشقاقها عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

32. اختصار التحليل التي قدمتها الفصائل اليسارية الفلسطينية في اعتبارها تطبيقا حرفيا لمنطق تتابع أنماط الإنتاج ، موقف سخيف.

33. الكاتب و انسجاما مع منهجته المثالية ، يقرأ التاريخ بالمقلوب ، فبدل أن يجادل في صحة ذلك التقسيم بالإحتكام الى الوقائع التاريخية الملموسة ، ذهب يبحث عن الجواب في نظرية ستالين حول أنماط الإنتاج. و إنه لأمر مضحك.

إلى حد كبير نجاحها العسكري ، فيما سمي بالحرب السادسة³⁴.

(2). تحاليل و مقولات سياسية.

1-الطبقات الاجتماعية:

التحليلات التي بلورتها الحركة الماركسية للمجتمع المغربي ، لم تستند على دراسات معمقة. و هي خالية من الجديد ، نسبة إلى الأطروحات الأولى التي انطلقت الحركة على أساسها. و السمة البارزة لتلك التحاليل ، أنها كانت تبالغ في ضعف الطبقة السائدة ، و في دور الامبريالية في تسيير البلاد. و قد جاءت حوادث 1971 و 1972 لتحول هذه النظرة إلى قناعة راسخة و أبدية.

فالحكم يرى إليه على أنه مشدود بخيط عنكبوت. و المعضلة الاستراتيجية التي كانت تطرح للماركسيين ، هي كيفية مواجهة التدخل العسكري للامبريالية ، في حالة تصاعد نضال الجماهير ، أما الحكم فأمره كان يظهر بسيطا للغاية. هذا التقييم كان يشجع عدم الاجتهاد في القيام بتحليل معمق لأوضاع الطبقات الاجتماعية و تصارعها. إن الهدف الأساسي من التحليل الطبقي هو تحديد موازين القوى بين الطبقات ، و بالأساس بين الطبقات المضطهدة و الطبقة أو الطبقات السائدة ، و ذلك لتقدير قوتها و تأثيرها الاجتماعي و السياسي ، و نهج خطط سياسية بناء على ذلك. هذه الأمور التي تتطلب البحث ، هي معطاة سلفا: الطبقة السائدة ليست إلامية طفيلية في يد الامبريالية.

فما الفائدة السياسية من الخوض في عناء تحليل سيوصلك إلى نتيجة توجد لديك مسبقا؟ هكذا كانت تحاليل الحركة الماركسية ، تظهر أساسا ك تأكيدات لمقولات مسبقة ، تدعم ببعض الأمثلة و بالمقارنات ، و الإشادة بنضال الجماهير ، و شرح الأهداف الاستراتيجية³⁵.

إن الحركة كانت تنظر إلى الطبقة السائدة باحتقار كبير ، كما كانت تعطي للامبريالية جبروتا يفوق قوتها الحقيقية ، و إلقاء كل المساوي على ظهر الامبريالية ، لدرجة تحويلها من مفهوم اقتصادي سياسي إلى عبارة أخلاقية ترمز إلى الشر ،

34. يقدم الكاتب هنا ملخصا لأطروحاته ، و يظهر جليا عدم استيعابه للمفاهيم الماركسية ، سواء بالنسبة للتاريخ ، أو للمفاهيم العسكرية الماركسية اللينينية ، الحروب الثورية مرتبطة دائما بالطبقات الثورية تاريخيا ، و اللجوء إلى هذا الشكل أو ذلك من تلك الحروب ، فعوامل عدة تساهم في اختياره ، منها الطبقة التي تقوده و حلفاؤها ، القوى الذاتية لكل طرف في الحرب و الشروط الموضوعية المحيطة بذلك ، و التي تجسدها موازين القوى الداخلية و الخارجية ، و نوعية العناد و الأسلحة لدى كل طرف ، و الماركسية عموما ، تفرق بين الحروب العادلة و الغير العادلة ، و تؤكد على العامل البشري في حسم الحرب ، فالحرب استمرار للسياسة بوسائل أخرى ، و السياسة تتحكم في البندقية... تثبت المعطيات التاريخية أن حرب أكتوبر ، قد خطط لها من طرف القيادة الساداتية لتكون حربا محدودة ، حيث كان أنور السادات يطالب المستشارين العسكريين السوفيات بأسلحة لتحرير شبر فقط من سيناء ، و كان يعني هذا ، كما كان يقول "السياسة في يد أمريكا" و "الأسلحة السوفياتية لا تعطي انتصارا" ، باختصار وجه السادات الحرب من أجل الإرتواء في أحضان أمريكا ، و من تمة رهن مصير تحرير سيناء ليومنا هذا ، فالجيش المصري لا يدخل سيناء إلا بإذن مسبق من إسرائيل ، أما مصير المستشارين السوفيات فمعروف بما يكفي. نسي الكاتب أن مصر السادات ، كانت قد أصبحت في يد الكمبرادور المصري. و ما حصل تأكيد للأطروحات الماركسية اللينينية و ليس العكس. إن أطروحة "عجز البرجوازية الصغيرة و أنظمتها السياسية عن قيادة حركة التحرر العربية أو غيرها ، فمقولة تاريخية مرتبطة بعصر الامبريالية و بواقع الدول التابعة أو الدول الشبه إقطاعية- شبه الإستعمارية. فالقول بذلك لايعني نفي أي دور للبرجوازية الصغيرة ، و إنما التأكيد على ضرورة القيادة البروليتارية. أما ظهور أنظمة مثل نظام القذافي أو النميري فلم يكن سوى تعبير عن عجز اليسار العربي عن بناء تلك القيادة البروليتارية... و نفس الأمر يقال عن الطبقات البرجوازية الصغيرة و أحزابها السياسية ، و حديث الكاتب عن منظمة التحرير الفلسطينية يتبث مرة أخرى جهله بأجديات العلم العسكري الماركسي اللينيني.

35. هناك تجاهل لكل المجهودات التي قامت بها الحمل.

ناتج عن فكر الحركات الوطنية الجذرية الماركسية و غير الماركسية ، التي لا تقيم فرقا بين الامبريالية و الاستعمار. و من جهة أخرى فكثير من حركات التحرر الوطني ، بعدما تبني نظامها السياسي تستمر في إلقاء كل مشاكلها الداخلية على الامبريالية ، لتغطية عجزها الخاص ، أو لتبرير سياستها القمعية ، و لسنا أول من أشار إلى هذا الواقع³⁶. و كان الحكم يعتبر هشاً ، و غير مستند على قاعدة اجتماعية صلبة. و للحفاظ إيديولوجيا على كون الحكم ضعيفا ، تبذل مجهودات لتبيان "فشل" كل محاولاته الهادفة إلى توسيع نفوذه السياسي و الاجتماعي. و كان ذلك حتميا ، لأنه ينقد بناء نظريا كاملا من التلاشي. و مجرد الإشارة إلى بعض مظاهر قوة الحكم ، يتم نعتة مباشرة باليمينية ، و عدم الثقة بحركة الجماهير...³⁷. و خارج الطبقة السائدة ، توجد الطبقات التي سميت بالوطنية ، و هي بالترتيب البرجوازية الوطنية ، البرجوازية الصغرى ، الطبقة العاملة ، الفلاحون ، ثم أشباه البروليتاريا ، و يقصد بهم العاطلون و المشردون. و الطبقة التي ستقود الثورة في المغرب ، هي الطبقة العاملة ، تعطاها نفس النعوت التي أعطيت للطبقة العاملة الأوروبية في عصر آخر ، بناء على موقع محدد في علاقات الإنتاج و العلاقات الاجتماعية آنذاك (درجة خطيرة من الفقر ، غياب الوزن المالي للطبقات "الوسيطية"...) ³⁸.

فالتبقة العاملة المغربية ، يقال عنها أنها هي الثورية حتى النهاية ، فليست لها أية وسائل إنتاج ، لا تتوفر إلا على سواعدها ، و ليس لها ما تخسره سوى قيودها. هذه المقولات العامة ، لاتجيب بالطبع على بعض الأسئلة الملموسة التي يطرحها وضع الطبقة العاملة المغربية ، كارتباط العمال بالبوادي ، و انتشار الأمية في صفوفهم بشكل خطير ، و ابتعادهم

36. اتهام الحملم بالسقوط في الإيديولوجية "العالم-ثالثية" ، إطلاق للكلام على عواهنه ، فلاسند للكاتب في ذلك.

37. إن الكلام عن هذا التصور غير صحيح و لا علاقة له بالخلاف بين منظمة "إلى الأمام" و منظمة "23 مارس" ، و الصحيح أن تجسيد هذه النظرة قد وقع في فترة نونبر 1974-1976 حينما كان الكاتب عضوا في الكتابة الوطنية إلى جانب المشتري بلعباس فقادا المنظمة إلى الضربة القوية التي تعرضت لها خلال دجنبر 1975-1976 ، عندما رميا بكل قوى المنظمة في معركة غير متكافئة مع النظام ، أدت إلى تصفيتهما.

38. أدبيات الحركة الماركسية اللينينية المغربية ، حين تتكلم عن الطبقة العاملة ، فضمن درجتين مختلفتين من التعميم و التجريد ، الأولى ، و تخص موقع الطبقة العاملة في نمط إنتاج سائد عالميا ، ضمن منظومة رأسمالية امبريالية ، و هذا جزء من التصور النظري العام ، الذي أسس له في مرحلتين مختلفتين ، كل من كارل ماركس - أنجلز و لينين ، و على أساس هذا المنظور تقود الطبقة العاملة الثورات الوطنية الديمقراطية و الاشتراكية عبر العالم ، و لا أهمية هنا بالنسبة لعدددها ، فالأهم هو هيمنة إيديولوجيتها الماركسية اللينينية ، وسط الكتلة الشعبية التي تقودها ، و إن احتلال الطبقة العاملة لهذا الموقع على الصعيد العالمي هو الذي يؤهلها إيديولوجيا و سياسيا و أمميا لقيادة الثورة العالمية ، و الثانية و تهم الطبقة العاملة المغربية ، و ينظر إليها ضمن علاقة العام بالخاص من جهة ، و ضمن نظرة تاريخية ملموسة ، فقد كانت الحملم و منظمة إلى الأمام ، على اطلاع بتاريخ هاته الطبقة منذ نشأتها ، مع الدخول الاستعماري في القرن العشرين ، كما كانت على علم بمراحل نضالها ، سواء ضد الاستعمار القديم أو ضد الاستعمار الجديد ، و تعج المقالات الصادرة في مجلة "أنفاس" و في النشرات الخاصة بكل تنظيم ماركسي لينيني على حدة ، بالعديد من من التحقيقات و المعطيات المتراكمة الضرورية للمعرفة ، أما تشبيه الحملم للطبقة العاملة المغربية بالطبقة العاملة الأوروبية في القرن 19 ، و إن كان الأمر لا يخلو من حقيقة ، فإن تلك المقارنة مبالغة فيها ، بشكل مقصود ، خدمة للمنطق الذي يتحكم في نص الكاتب ، ألا هو الاستخفاف و الاستهزاء بالجوانب النظرية و لسياسية و التنظيمية للحملم ، علما أن خلطه بين وضع الطبقة العاملة الأوروبية في القرن 19 ، و الطبقة العاملة المغربية في القرن 20 (نحن هنا في سبعينيات القرن 20) ، ينم عن مقارنة سيئة لما حاول إدخال وضع الطبقات الوسيطية ، في كلا الحالتين ، و تصوره تم انتقاؤه من تلك الأطروحات المعادية للاشتراكية ، أو الداعية للإصلاحية ، بمبرر تزايد نسبة عدد الطبقات الوسيطية في المجتمع ، أي أن التقاطب داخل المجتمع الرأسمالي ، بين البروليتاريا و البورجوازية قد تم الحد منه ، باحتلال نسبة عالية ، من البورجوازية الوسيطية لموقع وسط في السلم الاجتماعي ، و هذا المنظور ينتمي إلى علم الاجتماع الوظيفي البرجوازي ، الذي لا يؤمن بوجود الطبقات ، فقط هناك شرائح و فئات و نخب ، تحتل مواقع اجتماعية أو سياسية ، حسب الدخل الذي تحصل عليه ، أو الموقع الذي تحتله في العلاقة بالسلطة ...

خلال حقبة طويلة من الزمن عن خوض نضالات سياسية ، و درجة تأثرهم بالإيديولوجيات السائدة ، و درجة التمايزات بينهم على مستوى التخصصات و الأجور... الخ³⁹.

و حين تخوض الطبقة العاملة نضالات نقابية ، تتم الإشادة بها ، و تعطى كبرهان لتأكيد المهمة أو "المهمات التاريخية الملقاة على عاتقها"⁴⁰.

أما حالات الجمود ، فتفسر بسياسة اتجاه المحجوب بن الصديق و عبد الله ابراهيم⁴¹. أما انتشار الأمية في صفوف العمال و تعبيرهم عن أفكار أو مواقف غير ثورية أو غير مادية ، فيتم تبريره و تجاوزه بأطروحة ترى أن للطبقة العاملة ، و الجماهير عموما ، و عيا حسيا بمشاكلها ، بالاستغلال الرأسمالي ، و بضرورة النضال من أجل الاشتراكية ، و أنها عبر عمل المثقفين الماركسيين ، و عبر نضالاتها هي ، ستتوصل إلى الوعي العقلي بذلك. أولا الوعي / الحسي هو تناقض في العبارات. و لكن ما يراد قوله هو أن للعمال معرفة حسية ، ستتحوّل عبر ما ذكرنا ، إلى معرفة عقلية. ثانيا ، لا نعرف مجموعة بشرية ، كيفما كانت بدايتها ، تنحصر معرفتها في الإحساسات ، و الحيوانات هي التي قد يصح عليها هذا القول.

فانجذاب الطبقة العاملة نحو إيديولوجيات متباينة ، و في الغالب غير ماركسية ، يغلف بتحويل أنماط تفكيرها إلى درجة متدنية من المعرفة ، إلى مستواها الحسي. هكذا تحول عقول العمال إلى أرض خلاء مستعدة سلفا لاستقبال الفكر الماركسي المغربي. فالمثقفون ، و البرجوازية ، لا يقال عنهما أن لهما معرفة حسية بمصالحهما ، يقال بكل بساطة و عي برجوازي صغير أو برجوازي. أما الجماهير ، فإنها لم تتجاوز بعد مستوى المعرفة الحسية. و العقل الخالص الذي ينتج العلم يوجد لدى المثقفين الثوريين. ليس ما نقوله من باب تأليه العمال و الجماهير ، أو إعطاؤهم مقدرات خارقة. إن ضعف الوعي السياسي لدى غالبيتهم ، و انتشار الأمية المهول في صفوفهم يدعو إلى مراجعة بعض المسلمات ، و يصعب على شعب أن يتحرر من كل أشكال السيطرة الديماغوجية (الدلوية ، أو الحزبية ، أو الطائفية ، أو القبيلية) إذا كان جله عبدا للحرف ، لكننا بالمقابل نعتبر أن للعمال و الجماهير ثقافة و فكرا و وعيا و إيديولوجيات⁴².

39. إن المقولات العامة ، هي جزء من التعريف بالنظرية الثورية للطبقة العاملة ، و لا علاقة لها بالأجوبة التي يطرحها الكاتب بنظرة تجريبية ، و نحيل القارئ على وثائق منظمة "إلى الأمام" و منظمة "23 مارس" و سيجد العديد من المعطيات تتحدث عن ارتباط العمال بالبوادي و عن انتشار الأمية و عن دور النقابة البيروقراطية في إبعادهم عن العمل السياسي ، كما سنجد تحاليل قطاعية كثيرة ، بل إن المنظور الاستراتيجي لمنظمة "إلى الأمام" كان يربط بين الطبقة العاملة في المدن الكبرى كالدار البيضاء ، و في المناجم وسط القرى و الجبال ، ثم لم يغب عن ذلك المنظور وجود طبقة عاملة مغربية بالخارج ذات جذور فلاحية ...

40. يظهر أن الكاتب هنا قد نسي أبجديات العمل الدعائي و التحريضي ، حيث كلاهما يخدم الآخر...

41. إن اختزال الأمر في تفسير واحد و وحيد ينم عن استخفاف و محاولة احتقار تصورات الحمل ، التي كانت تقدم تحليلات شمولية لمواقف القوى الاجتماعية و السياسية المختلفة ، و أثرها على الوضع الاقتصادي و السياسي ، الذي تتأثر به هي الأخرى ، و انعماس ذلك على الحركة الجماهيرية (انظر على سبيل المثال وثيقة "الوضع الراهن و المهام العاجلة للحمل").

42. إن الكاتب ، و قد اختار أسلوب عدم استعمال الحجج و البرهنة على أقواله ، يجعلنا هنا ، نعتبره يتعمد الخلط ، خدمة لأطروحته ، و هو الذي كان مطلعاً عن قرب على عدد من أدبيات المنظمة ، كما كان مطلعاً على العديد من النصوص الماركسية الكلاسيكية ، و مع ذلك يأتينا بهذا الخليط العجيب من المقولات و المفاهيم ، متناسيا أن ماركس قال ما معناه "الإيديولوجية السائدة في كل مجتمع هي إيديولوجية الطبقة السائدة داخل هذا المجتمع" ، و لم يستثن من ذلك الطبقة العاملة ، كطبقة مسودة ، و هذا لوحده كان كافيا لثنيه عن البحث عن إيديولوجية لدى الطبقة العاملة ، كما نسي الكاتب الفرق الذي وضعه الماركسيون بين "إيديولوجية الطبقة العاملة" و "إيديولوجية وسط الطبقة العاملة" ، و بين "الطبقة في ذاتها" و "الطبقة لذاتها" ، بين الصراع الطبقي الموضوعي ، و الصراع الطبقي الذاتي ، و العلاقة الجدلية بين كل هذه الثنائيات ، كما وضع الماركسيون تمييزا بين الغريزة

و إن نظرة الحركة الماركسية إلى الطبقات الأخرى ، لا تختلف كثيرا عما ورد في كتابات ماوتسي تونغ و لي ذوان و تريونغ شينه ، و نلاحظ هنا أن النظريات الأساسية التي تآثرت بها الحركة ، قد أبدعها قادة ماركسيون ، كانوا على رأس دول اشتراكية. هذا مع استثناء الجبهة الديمقراطية ، التي تستمد تأثيرها من قوة التضامن القومي العربي ، و باستثناء المؤسسين الأولين ماركس و انجلز ، رغم أن الأول لم يكن ماركسيا. فأراء بوخارين و تروتسكي و غرامشي و مجموعة المانفستو — و أشار لنا أحد الأصدقاء إلى دمتروف الشيعي الذي ذكرنا بكارلا زتكين و روزا لوكسمبورغ - كانت كلها إما ضعيفة التأثير أو مجهولة كليا⁴³.

2. استقلال 1956:

على منوال الاتجاهات الجذرية في الحركة الوطنية ، كانت الحركة الماركسية ، تعتبر استقلال 1956 ، مجرد استقلال شكلي. و كان لها دافع إضافي للخروج بهذا التقييم ، و هو أن استقلال لا يتحقق بقيادة حزب ماركسي ، يكون إما شكليا ، و إما ينتهي ليصبح شكليا ، إذا لم يبرز حزب ماركسي لمواصلة النضال نحو الاشتراكية. فلأن الحركة الوطنية برمتها ، لم تبلور أي برنامج بعيد المدى لما بعد الاستقلال ، فإن الاتجاهات الجذرية داخلها ،

الطبقية و الوعي الطبقي السياسي ، و تحت تأثير الإيديولوجية البورجوازية على العمال ، تختبئ عناصر إيديولوجية مادية للطبقة العاملة مرتكزة على ممارساتها المادية في الإنتاج ، و دور النظرية الثورية ، المرتكزة على الممارسة الثورية المبدعة ، هو تدمير تلك الإيديولوجية البرجوازية في وعي العمال ، و إبراز العناصر المادية البروليتارية ، و دمج النظرية الثورية بتلك العناصر ، و هذا ما تجيب عنه النظرية اللينينية حول النواة البروليتارية و حول الطلائع البروليتارية ، و علاقة ذلك بمنظمة المحترفين الثوريين. و بالنسبة للوعي الحسي ، و علاقته بالوعي العقلي ، فهناك علاقة تناقض بالفعل ، لكن ليس في العبارات كما ادعى الكاتب ، الذي سقط بدون وعي ، في منظور عقلائي للمعرفة ، بينما النظرية المادية الجدلية للمعرفة ، تميز بين مستويين ، من الممارسة و من المعرفة ، فهناك الممارسة اليومية العادية التي يدبر بها الناس حياتهم اليومية ، دون إدراك جوهرها لعلاقات الاقتصادية و الاجتماعية المختبئة وراء ذلك ، و يتعلق الأمر هنا بما يسميه أحد الكتاب ب "الملموس المزيف" ، و تنبع عن هذه الدرجة من الممارسة ، مستوى وعي ملازم لها ، و هو ما يسمى عادة بالمعرفة الحسية ، أما المستوى الثاني فيتميز بإدراك لجوهر تلك العلاقات ، و بنيتها ، عن طريق الممارسة الثورية ، التي تخترق حقيقة ذلك الملموس المزيف ، و ترتقي بالنظرية و بالممارسة إلى مستوى أعلى ، ضمن ما أطلق عليه ماركس بالبراكسيس الثوري ، إن هذا التمييز لا يغفل أهمية المرحلة الأولى من الممارسة و المعرفة ، بالنسبة للمرحلة الثانية ، و هذا جوهر العلاقة الجدلية التي تقوم بين الممارسة و النظرية (انظر كراسة ماو "في الممارسة العملية" و كذلك كتاب "جدلية الملموس" لكاريل كوزيك ...) و على هذا الأساس ، وقع الكاتب في خلط صارخ ، ينم عن جهل بمستويات المعرفة و درجاتها ، وعلاقتها بالممارسة ، وكذلك عدم إدراك أن الكلام عن الوعي الحسي يتم في سياق سيورة تبلور الوعي السياسي الثوري لدى الطبقة العاملة ، و ليس الحديث عن تأثير الإيديولوجية السائدة البورجوازية ، التي تظل الطبقة العاملة حبيسة حدودها الطبقية ، إذا لم تتوفر لها النظرية الثورية و الأداة الثورية: الحزب الماركسي اللينيني ، و بهذا الكلام يتضح خواء الكاتب النظري ، الذي يتهم الماركسيين باعتبار الطبقة العاملة لا تملك سوى الأحاسيس. أما الحديث عن الوعي الحسي لدى الطبقات الأخرى ، فلا يجب أن ينسبنا الفارق بين الطبقة العاملة صاحبة المشروع الثوري للإطاحة بالرأسمالية ، و بين الطبقات الأخرى ، التي تنتمي إلى الإيديولوجية البورجوازية ، لأنها تعبر إلى هذا الحد أو ذاك عن مصالح تلك الطبقات. و الحديث عن "العلم الخالص" الذي ينقل إلى أرض خلاء ، أي عقول العمال ، فأبدا لم يكن وجهة نظر منظمة "إلى الأمام" و لا موقف و ممارسة لينين الذي يتم تشويبه ، بهدف الإجهاز عليه ، لأنه في قلب المعركة الدائمة ضد العفوية و العدمية ، فبدون الحزب الثوري لن تراكم الطبقة العاملة تجاربها الفاشلة أو الناجحة ، و لن ترتقي بها إلى مستوى التعميم و التركيب ، في أفق إنجاز برنامجها الثوري ، ففي الحزب الثوري تقبع ذاكرة الجماهير ، التي لا تفقد بسبب المد أو الجزر في الحركة ، أو بسبب تبدل الأجيال ...

43. تمشيا مع منهجه يسقط الكاتب تصورات على الواقع التاريخي ، فادعاء أن كتابات الحلم لم تكن سوى نسخة منقولة عن الكتابات الصينية أو الفيتنامية ، بدون تقديم الحجج ، فمجرد كلام في الهواء لا أقل و لا أكثر ، و أما الحديث عن ماركس الذي لم يكن ماركسيا ، فقد سبق أن وضعنا حقيقة هذه المقولة ، كما جاءت في سياقها التاريخي ، حيث تبرأ ماركس من الغسديين الفرنسيين الذين كانوا يدعون الانتماء إلى الفكر الماركسي ، و كانوا ذوي نزعة اقتصادية ، بينما لم يطلع زعيمهم جيل غيسد على كتاب واحد من الماركسية ، و قوله ماركس هي تبرؤ من هؤلاء الذين كانوا يحتقرون النظرية ، و هذا هو المعنى الحقيقي لقولة ماركس الشهيرة "كل ما أنا متأكد منه هو انني لست ماركسيا" ، و هذه القولة تم تحريفها من طرف التحريفيين و التحريفيين الجدد...

بعدها لمست أن البلاد تتجه في مسار غير تقدمي ، أو غير وطني ، كما يقال ، قفزت على ذلك الفراغ السياسي في تصورهما السابق ، و أصبحت تعتبر أن الاستقلال شكلي ، و أن شيئاً لم يتغير باستثناء المظاهر السطحية. مروراً ، نقول أن غياب ذلك البرنامج البعيد المدى ، يفسر جزئياً على الأقل التضاربات و التعطل في تطور الإيديولوجية السياسية لحزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية.

فالشعار الرئيسي الذي جند كل الشعب المغربي ، إعلان الاستقلال و رجوع الملك محمد الخامس ، قد تحقق . و ساهمت الحركة الوطنية و عناصرها الأكثر جذرية في حكومات و مؤسسات ، كانت تستهدف منها بناء اقتصاد وطني و تحرير البلاد من السيطرة الامبريالية. و دخلت الدولة ، نظراً لوزن الحركة الوطنية في عدة إصلاحات. بموازاة ذلك كانت الدولة تدعم أجهزتها الجديدة الممغربة كالجيش و الشرطة و الدرك ، و هذا الصراع بين اتجاه واضح ، الحكم ، و اتجاه متضارب ، الحركة الوطنية ، حسم لصالح الأول. و قد عرفت بنية المجتمع خلال تلك الفترة تحولات كبيرة. فظروف نضال الاتجاهات الجذرية في الحركة الوطنية تبدلت. لقد أصبح يغيب العامل الأجنبي كعنصر تجنيد جماهيري. و البورجوازية المتوسطة المحلية التي كانت تلعب دوراً كبيراً في النضال ضد الاستعمار ، لم تبق مصالحتها مهددة بنفس الحجم ، و تقتصر على هاتين النقطتين.

و سواء بالنسبة للحركة الماركسية المغربية ، أو بالنسبة لبعض الاتجاهات داخل الاتحاد الوطني للقوات الشعبية ، فإن مساندة الجماهير بالملايين للمقاومة و جيش التحرير ، ظل يفهم على أنه كان تعاطفاً مع جذرية المواقف السياسية ، و جذرية أساليب النضال ضد الاستغلال و الاضطهاد الطبقي فقط. و هذا خطأ نظري كبير. إن النضال الطبقي يمكنه أن يحقق التفافاً جماهيرياً هائلاً ، و هذا بديهي. لكن الفرق ينحصر في أن السخط على الاستعمار يبرز بشكل تلقائي ، و ينمو بشكل مذهل إذا وجدت قيادة سياسية وطنية ، في حين أن السخط على الاستغلال و الاضطهاد الطبقي المحلي ، يمر بمنعرجات معقدة. كما أن حجم التضامن العربي و الإسلامي و العالمي ، يختلف من حالة لأخرى. فليس بديهيًا ، و تاريخ المغرب يؤكد ذلك ، أنه بمجرد حصول الاستغلال و الاضطهاد الطبقي ، يحصل السخط الجماهيري ، و يحصل التعاطف مع كل طليعة تتبنى النضال الجذري ضد ذلك الوضع. و نعطي كلمة السخط معنى قويا ، المعنى الذي أعطاه لها لينين في تحديد شروط الانتفاضات⁴⁴.

(3). التجربة العملية:

1- جوانب سياسية:

إن الحركة الماركسية لم تكن فقط حركة فكرية ، بل كانت حركة سياسية ساهم مناضلوها بقسطهم في الصراع من

44. بعد قراءة هذه الفقرة الطويلة ، لا نستطيع الوصول إلى معرفة موقف الكاتب من الاستقلال و إن غلبنا الرأي القائل بكونه استقلالا غير شكلي ، لأن لا وجود لأي برهنة على ذلك. أما شكلية فتبرهن عنها ، وثيقة "إيكس لبيان" التي طرحت فكرة استقلال المغرب في إطار التبعية لفرنسا ، و مأل المناطق الأخرى ، ثم الإشراف المباشر للقوى الاستعمارية على بناء أجهزة الدولة السياسية و العسكرية و الإدارية و الأمنية ، و الحفاظ على المصالح الاستراتيجية لتلك القوى. أما إنكار وجود التفاف جماهيري حول المقاومة و جيش التحرير ، و حتى بالنسبة للاتحاد الوطني للقوات الشعبية ، على الأقل في السنوات الأولى من الاستقلال الشكلي ، فهذا ادعاء تكذبه الحقائق التاريخية. و بالنسبة للموضوعة الخاصة بالفرق بين النضال إبان الاستعمار المباشر ، و النضال في المرحلة التالية ، فالفارق نسبي ، و الدليل على ذلك ، ذلك المستوى من الوعي السياسي ، الذي تميزت به الحركة الجماهيرية في المدن و البوادي (مرحلة صعود الاتحاد الوطني للقوات الشعبية ، التي استمرت إلى انتفاضة 1965 ، حيث خذلت القيادات الإصلاحية لهذا الحزب تلك الجماهير المنتفضة بالدار البيضاء و مدن أخرى ، ثم لقد كانت للتيارات الجذرية داخل الحزب قواعد مهمة في الطبقات الاجتماعية ، كالبورجوازية الصغيرة و الفلاحين ...

أجل غد أفضل للجماهير ، و ذلك بالأساليب التي أملت عليها قناعاتهم. و إثر انطلاقتها ، كانت غير واضحة بالنسبة للشعب ، و ذلك من حيث التنظيم. و هذا سر انتشار تسميتها بالجبهة ، نسبة إلى الجبهة الموحدة للطلبة التقدميين ، و هي تنظيم انتخابي قاده الحركة في الجامعة سنة 1970.. و كانت الحركة تتشكل من المنظمين اللتين ، ستسميان فيما بعد "إلى الأمام" و 23 مارس ، نسبة إلى نشرتهما.

وفي بداية 1972 ، عرفت "23 مارس" انفصالا أفرز اتجاهها سمي نفسه "لنخدم الشعب" ، نسبة إلى عنوان إحدى مقالات ماو تسي تونغ.

القطاع الذي نشطت فيه الحركة بتأثير واسع ، هو القطاع الطلابي. و قد كان لها ذلك التأثير ، لأنها ضمت في صفوفها مناضلين نقابيين بارزين في الجامعة ، كانوا ينتمون قبل 1970 لحزب التقدم و الاشتراكية (الرباط أساسا) و الاتحاد الوطني للقوات الشعبية (فاس أساسا).

و قد ناضلت الحركة في القطاع الطلابي ، من أجل إصلاح التعليم ، سواء من الناحية المادية أو الهيكلية ، إذ كانت تعمل من أجل إقرار برامج جديدة غير متحجرة و غير استعمارية ، و كانت في هذا النضال تعمل إلى جانب مناضلي الاتحاد الوطني للقوات الشعبية ، الذين بدأ تأثيرهم يضعف بشكل ملموس بعد المؤتمر الرابع عشر ، إذ كانوا قبله يشكلون تيارا تقدما قويا.

لكن الحركة كانت تحاول تحميل القطاع الطلابي أكثر من طاقاته. كانت لها ، كما أسلفنا أهداف سياسية طويلة المدى. و القطاع الذي تبدأ به في تطبيق سياستها ، هو ذلك الذي ترتبط به ارتباطا وثيقا أي القطاع الطلابي. و قد تجسد ذلك في مقررات المؤتمر الخامس عشر ، التي كانت متطرفة في عدد من النقاط ، و على رأسها الموقف من الأحزاب السياسية.

و نظرا للصيت الكبير الذي كان يتمتع به الأوطم عالميا ، فإن سيطرة الجبهة عليه ، شكل دقا لناقوس الخطر بالنسبة للحكم الذي دخل ضده في حملة قمعية واسعة النطاق. و باستقلال عن ذلك ، كانت قد شنت حملة اعتقال في صفوف الحركة في بداية 1972.. و في ظروف جد صعبة واصلت الحركة نشاطها بإصدار بيانات و نشرات تساند النضالات الجماهيرية ، و بدأت تهتم أكثر فاكثر بالعمل في الثانويات. و رغم عدم اتفاق أحد أجنحتها ، لجأت بشكل فوقي إلى إعلان تأسيس نقابة سرية للتلاميذ ، و استطاعت بذلك لف الجزء المستعد للتعاطف معها كحركة ماركسية فقط⁴⁵ ، أما القطاع الذي فشل فيه عملها بشكل يكاد أن يكون مطلقا ، أو قل بشكل مطلق ، هو القطاع العمالي.

فالعامل في النقابات ، كان عبارة عن صراع مفتوح و فوقي مع القادة النقابيين ، الذين كانوا يتهمون دون تمييز بالبيروقراطية و الوصاية على العمال⁴⁶ ، أما العمل المباشر مع العمال فكان يطرح لهؤلاء عدة مشاكل. كيف التعامل مع الماركسية كفلسفة ، كيف الانتقال من أساليب عيش عادية ، أو نشاط نقابي معلى ، إلى هياكل سياسية مغلقة يوجد بها مثقفون و برامج سياسية "شديدة الخطورة". و انخراط الحركة في أوساط طلابية و تلاميذية ، كان يكبل نشاطها السياسي الذي يولد نفسه باستمرار في نفس الأوساط ، و إحدى الأطروحات التي كانت تشجع على الاستمرار في نفس النهج ، هي

45. يردد الكاتب أطروحة لطالما ترددت في العديد من الكتابات ، التي اختزلت تجربة النقابة الوطنية للتلاميذ في مجموعة من المناضلين الماركسيين اللينينيين المرتبطين بالحلم ، و هذا خطأ تكذبه الوقائع التاريخية.

46. الأمر صحيح بالنسبة للفترة الممتدة من التأسيس إلى خريف 1972 ، تعميم ذلك على الفترة التالية أمر فيه مبالغة ، و تجاهل للمعطيات التاريخية.

تلك التي تعتبر أن الطلبة و التلاميذ يشكلون طليعة تكتيكية ، بمعنى مؤقتة ، للحركة الجماهيرية ، و قد تعرضت في بعض الأوساط لنقد واسع. و تمشيا مع أطروحة تقول بورود الوعي الاشتراكي إلى العمال من لدن المثقفين ، فقد ظل الطلبة و التلاميذ يعتبرون كمثقفين ثوريين ، جسرا ضروريا للعمل في أوساط الطبقات الشعبية. في الوقت الذي بقي فيه عملها منحصرا في الشبيبة المدرسية ، كان الحصار المضروب حول الحركة يزداد ضيقا ، في هذا الجو ، انفجرت قضية الصحراء الشيع الذي عمق تشتتها و عزلتها السياسية⁴⁷.

2- القضية التنظيمية:

منذ نهاية 1972 ، فرض على الحركة تبديل أساليبها التنظيمية جذريا. لقد كانت قبل هذا التاريخ ، تتكون من تنظيمات شبه علنية. هكذا تمت إعادة قراءة كتاب "ما العمل" للنينين ، الذي قال عنه يوما أحد المناضلين عن حق أنه أصبح بمثابة إنجيل.

فقد اضطرت مجموعة من مناضلي الحركة إلى احترام العمل السياسي – لذلك تبدلت جوهريا نوعية أنشطتهم فيما قبل جماهيرية- و نشير هنا إلى أن "إلى الأمام" كانت صاحبة التنظيم الأكثر تماسكا ، و وضوحا من حيث الهياكل. وقد حوفظ على الهياكل السابقة: الخلايا ، مكاتب النواحي و اللجنة الوطنية أو اللجنة المركزية ، ثم الكتابة أو المكتب السياسي. هذه الهياكل بقيت على حالها سوى في نقطة واحدة ، و هي أن ولوجها أصبح يخضع لشروط شديدة الصرامة. الجانب الذي تم فيه الابتكار ، هو الهياكل المرتبطة بهذا التنظيم ، أو التابعة له. منظمة 23 مارس أحدثت شكلين: اللجنة النقابية و اللجنة السياسية. أما "إلى الأمام" ، فقد أحدثت من 1972 إلى 1974 ، اللجن الديمقراطية و مجالس المناضلين فيما يخص العمل النقابي ، ثم الحلقات و لجان النضال و اللجن الأساسية ، و هي تابعة للمنظمة. الفرق بين الأشكال الثلاثة الأخيرة من الناحية النظرية ، كان وظيفيا. لكن مع طول الممارسة ، تلاشى هذا الفرق ، كما بدأ يتلاشى بالتدرج الفرق بينها ككل ، و بين الهياكل الداخلية⁴⁸.

و نظرا للطابع المكثف لعملها النظري ، و الطابع المغلق لعملها السياسي ، أصبحت تلك اللجن عاجزة عن المزج بين إنجاز برامجها من جهة ، و خوض نشاط جماهيري ذي وزن من جهة أخرى. فأصبحت بدل تأطير الجماهير ، تفصل في الغالب ، المناضلين عن الأوساط الجماهيرية التي برزوا فيها ، بحيث يتقدمون أكثر في إنجاز الأنشطة الغير الجماهيرية ، هكذا اختنق التنظيم من الداخل⁴⁹. فأساليب عمل من هذا النوع ، تتنافر مع وضع الطبقة العاملة المغربية و طاقاتها التعليمية⁵⁰.

فالفشل في العمل داخلها ، و تراجع نفوذ الحركة في القطاع الطلابي و التلاميذي ، مرده في نفس الوقت إلى الخط السياسي ، و كذلك إلى الأساليب التنظيمية ، هذا دون نسيان الظرف السياسي العام ، الذي كان يتميز في الحقبة التي نتحدث عنها بقساوة ، تفترض فيمن ينخرط في الحركة الماركسية ، أن يكون على قدر من الشجاعة⁵¹.

47. بالنسبة لمجموعة من الأطروحات الواردة في الفقرة أعلاه ، فقد سبق توضيحها في الوثيقة الأولى من هذا الملف.

48. لا ندري عما يتكلم الكاتب ، و عن أي فترة يتكلم ، حيث وقع الاندماج بين هذه المستويات التنظيمية ؟؟؟!!! ، لعل الكاتب يشير إلى الفترة

الممتدة من يناير 1975 إلى مارس 1976 ، و قد كان الكاتب مسؤولا عنها باعتباره كان عضوا في الكتابة الوطنية للمنظمة.

49. يتكلم الكاتب بدون برهنة عما يقوله ، و لذلك ، لا نناقشه في الموضوع ، ما دام مجرد عموميات.

50. تناقض للكاتب مع ما أورده سابقا حول الطبقة العاملة.

51. هل كانت الطبقة العاملة حسب هذا الطرح تقتقد إلى الشجاعة ؟؟؟!! و لتتذكر تجربة عمال قطارة و عمال مناجم خريكة وجرادة..

3- النشاط الثقافي:

لعل الحياة الثقافية في المغرب ، تأثرت كثيرا بالمد الماركسي في بداية السبعينات. فالحركة الماركسية في مجرى النضال الطلابي لسنوات 1969-1970 ، و الذي كان مصحوبا بحركة تسييس واسعة النطاق ، استمرت إلى حدود منع الاتحاد الوطني لطلبة المغرب في يناير 1973.. ذلك الجو ، هو ما أرخ له مذيع التلفزة بقولته الشهيرة: إنه لكارثة أن يسييس التعليم.

فقد تعددت النقاشات و الندوات السياسية و الثقافية ، و استعمال المنهج الماركسي ، ساهم في تعميم عدة مفاهيم فلسفية و سياسية معاصرة ، كما في تعريبها و توسيع تداولها. و قد برزت سنة 1971 مجلة "أنفاس" باللغة العربية ، فساهمت في تطعيم النقاشات و الصراعات الثقافية. و لأن الطلبة الجبهويين كانوا متمركزين في كليتي الآداب بالرباط و فاس ، فقد أصبحوا أساتذة متفرقين في عدة مدن. و كان جزء كبير منهم ، يساهم في إثارة و دعم الأنشطة الثقافية بالمدن التي يدرسون فيها.

و كان كثير من الطلبة و التلاميذ يعطون لتلك الأنشطة دفعا قويا ، إذ حولوا قاعات المحاضرات من قاعات إنصات إلى قاعات مساهمة و حوار و جدال ، الشيء الذي كان يزعج بعض المحاضرين الذين لم يتمرنوا على هذا النوع من المشاكسة.

لكن الطريق الذي صرفت فيه كل هذه الجهود ، كان طريق المنهج فقط. كان لذلك آثاره الإيجابية دون شك ، لكن جانب الضعف ، هو شبه غياب إنتاجات أدبية و فنية و دراسات تاريخية و فلسفية قريبة من النهج الذي كان متداولاً ، حتى ليصل تكرار مقولاته أحيانا إلى الكاريكاتور. الآن فقط ، بدأت تبرز بعض الإنتاجات المتأثرة بالجو الذي تحدثنا عنه ، متأثرة بأي طريقة؟ إن هذا مطروح على النقاد⁵².

و خارج المثقفين المستقلين ، فإن الحركات السياسية التي تضم في صفوفها فرقا قوية من المنتجين في ميدان الثقافة ، تبقى كما في السابق حزب الاستقلال ، الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية ، و مثقفوا الدولة. و يلاحظ نهوض ملموس في إنتاج المثقفين المنخرطين في حزب التقدم و الاشتراكية⁵³.

4). الأزمة العامة للحركة الشيوعية والفكر السياسي الماركسي:

الطابع الأساسي لمشروع الحركة الماركسية المغربية هو الفشل ، على الأقل بالنسبة للإحدى عشر سنة الأولى من وجودها ، و يلاحظ المرء دون عناء ، أن هذا كان مآل عشرات الحركات السياسية التي كانت لها نفس الرؤى الإيديولوجية و السياسية بشكل عام⁵⁴.

52. لا ندخل هنا في مناقشة تجربة الحمل في الجانب الثقافي ، و هو ذو أهمية لا ينكرها أحد ، لكن ما يتحدث عنه الكاتب من ظهور لبعض الإنتاجات ، فالمعني هنا ، ظهور نصوص أغلبها تراجمي ، و يؤرخ لمرحلة الردة التي ظهرت في صفوف الحمل ، بعد مرحلة الاعتقالات ...

53. كل هذه القوى الإصلاحية ، يجمعها قاسم مشترك ، علاقتها بالبرجوازية المتوسطة ، التي كان ينتمي إليها أغلب مثقفي تلك المرحلة. أما المشروع الثقافي للحمل ، فقد كان يسعى إلى بلورة ثقافة جديدة ، و ظهور مثقفين ثوريين ، مرتبطين بالجمهير الكادحة ، و على رأسها الطبقة العاملة ، مثقفين يعبرون عن هموم و مصالح و طموح تلك الطبقات الكادحة ، و هذا فارق نوعي من حيث التصور على الأقل ، و سيظل مفتوحا إلى أن يستطيع الماركسيون اللينينيون المغاربة التقدم في إنجازه.

54. لا يكتفي الكاتب بإصدار حكمه النهائي على الحمل بالفشل كطابع أساسي ، و هي تعبير عن بأسه و فشله الشخصي ، و تلتقي مع أطروحته

إن الاكتشاف التدريجي لأنظمة الحكم في الاتحاد السوفياتي و الصين الشعبية ، و للعلاقات التي كانت تنسجها مع شعوبها ، و مع القوى السياسية المعارضة ، بالإضافة إلى الاقتتال الدامي بين دول الهند الصينية ، و ابتعاد الطبقة العاملة في الغرب كله عن الإيديولوجيا ، و المنظمات الماركسية ذات النهج البلشفي -الصيني ، كل هذا أثار موجة نقد واسعة و تساؤلات عميقة حول أسباب هذه الأزمة.

لا ننتهي إلى أن إنجازات الأنظمة الاشتراكية كانت ضعيفة ، أو إلى أن النضالات التي قادتها الأحزاب الشيوعية كانت في غير محلها ، لأن تلك الأنظمة تحولت إلى أنظمة قمعية في معظمها. فالأحزاب الشيوعية بقيادتها لعدد من النضالات الوطنية ، أو الاجتماعية ، لعبت دورا تقدما هائلا في التاريخ. هذا الدور تم القيام به بفكر سياسي و أساليب و موروثة محلية ، أعطت النتائج التي نعرفها حاليا ، و هي منافية للميزات التي كان يوصف بها النظام الاشتراكي نظريا. و على الصعيد النظري الصرف ، فإن أزمة الماركسية ليست ناتجة عن الأخطاء النظرية الواردة في كتابات ماركس و انجلز و لينين و ستالين و ماوتسي تونغ ، فهذا لايفلت منه أي مفكر على الإطلاق ، ولكن لأن تشكل الماركسية كمنظومة فكرية ، حتم التشبث من طرف الماركسيين بكل آرائهم على مر العصور ، و بآرائهم هم و حدهم لا غير. و هذا هو الحد الفاصل بين العلم و الماركسية ، بين العلم النسبي و الإيديولوجيا المطلقة المغلقة⁵⁵.

كان لينين مثالا يزعم بأن حل المجلس التأسيسي ، و انفراد الحزب البلشفي بالسلطة من الأمور العارضة في الثورة الروسية⁵⁶.

لكن النموذج الروسي سيؤخذ بحذافره في التجارب اللاحقة. فالأحزاب الشيوعية تحكم بمفردها ، و تصریح بعضها بوجود أحزاب أخرى حليفة ، كما يفعل الحزب الشيوعي الصيني ، ليست له أية قيمة. و يتبين ذلك بمجرد مراجعة القانون الداخلي للحزب ، الذي يسطر ضرورة القيادة المطلقة للحزب في جميع القطاعات ، و في هذه النقطة ، لا يوجد فرق يذكر بين المؤتمر العاشر و المؤتمر الحادي عشر⁵⁷.

السابقة الداعية إلى حل المنظمات الماركسية اللينينية و الذهاب إلى الطبقة العاملة ، بل جعل حكمه مقرونا بمآل التنظيمات المشابهة لها عبر العالم ، و الحال أن التجارب مختلفة و متنوعة ، و عدم دراستها لا يبرر للكاتب ادعاء ذلك.

55. استقى الكاتب أطروحته من ترسانة الاتهامات الموجهة إلى الماركسية من قبيل أنها أكدت على النظرية و تناست المنهج ، أو أن الماركسية مجرد ايدولوجيا سياسية و لا علاقة لها بالعلم الذي هو نسبي ، و اعتمد البعض على معيار "القابلية للدحض" الذي جاء به كارل بوبرلنفي علميتها ، و الكثير من الأطروحات التي يتشدد بها التحريفيون القدامى و الجدد و أعداء الماركسية تنتمي إلى نفس الصنف ، و الهدف الأساسي هو نفس الماركسية كنظرية ثورية من الداخل ، عبر عزل النظرية عن المنهج ، و إبعاد الاشتراكية عن أي انتماء للعلم و اعتبارها في أحسن الأحوال مجرد مطلب أخلاقي بالمعنى الكانطي ، أما المادية التاريخية ، فهي مجرد مقولات سياسية لخدمة مشروع سياسي إلى آخر الأسطوانة ، ليس هنا مجال الرد على كل هذه الترهات.

56. لقد كانت ثورة أكتوبر بقيادة الحزب البلشفي تعبيرا عن موقف الأغلبية داخل سوفيت عامرة روسيا ، لم تكن الثورة مجرد انقلاب كما ادعى أعدائها ، و استيلاء الطبقة العاملة الروسية على السلطة كان حسما لإزدواجية السلطة القائمة آنذاك ، حتمته الظروف التاريخية الملموسة ، و كل تحريفي الأممية الثانية و الثانية و نصف من أمثال كاوتسكي و أدلر قد هاجموا الموقف اللينيني و اعتبروه انقلابا و إرهابا الخ....(انظر كتاب لينين "الثورة البروليتارية و الميرتد كاوتسكي" و كتاب ادلر "المجالس العمالية").

57. ما يثيره الكاتب يحيل على أطروحات أساسية في الفكر الماركسي اللينيني ، من قبيل دكتاتورية البروليتاريا و الديموقراطية البروليتارية و نقيضها الدولة البورجوازية و الديموقراطية البورجوازية ، و علاقة كل هذا بالمشروع الشيوعي المرتبط باضمحلال الدولة خلال المرحلة الاشتراكية ، و الجواب على هذه الإشكاليات ، إما أن يكون علميا أو لا يكون ، و هذا يعني العودة إلى مناقشة التجربة التاريخية و استخلاص دروسها الثورية دون لف أو دوران ، و دون البريكولاج الداعي إلى الإقتباس من منظومة الفكر السياسي البورجوازي ، فشتان بين مفهوم الدولة الماركسي و نقيضه البورجوازي...

و إن جانبا كبيرا من الخنق الذي تعانیه شعوب الدول الإشتراكية⁵⁸. يرجع إلى أنها محرومة من التعبير عن أي رأي ، و من الخوض في أي نشاط يخالف ، و لو إلى حد بسيط السياسة الرسمية للحزب. إن الماركسيين يقرون بوجود الطبقات و إديولوجياتها ، لكنهم يحاولون حصر أو جر إديولوجيات كل الطبقات إلى الماركسية بعد سيطرتهم على السلطة ، و يحاولون حصر كل التعبيرات السياسية في حزب واحد. الوهم قائم على مستويين ، يمكن إقناع كل الناس بمنظومة معينة ، ثم يمكن أن يتقدم الحزب بسرعة في محو الطبقات (ولنتذكر أوهام "شيوعية الحرب"). ما يقع أن الصراعات السياسية تختفي تحت الضغط من أماكن تعبيرها العادية ، و تنفذ إلى داخل الحزب ، و قد تقزمت. و مع التحولات التي تطرأ على السلطة ، لا تبقى أطر الحزب القديمة تدافع بنفس الحماس الأصلي عن مصالح الجماهير ، النتيجة أن الشعب يختنق ، و أن ممثلي الطبقات و الفئات العليا يتصارعون حول الهيمنة على السلطة ، و ذلك بلغة ماركسية تتحول إلى شفرة تتطلب الترجمة لكي تفهم.

و المراقبون الغربيون المتتبعون للأحزاب الشيوعية ، يتنبؤون بطريقة مدهشة بمصير بعض الأطر (انتقال ، عزل ، اعتقال ، خطر الإعدام) ، و ذلك بدراسة النعوت الفلسفية و السياسية التي تلصق بهم بالتدرج في وسائل الإعلام الرسمية.

فالأنظمة الرأسمالية الغربية تسمح لكثير من الاتجاهات بالتعبير عن آرائها و بناء أحزاب سياسية. و تستفيد من ذلك فروع جل أحزاب العالم الثالث في تلك الدول. أما البقية ، ماهو غير التعبير عن الرأي و تأسيس حزب "غير إرهابي" ، فهذه المقارنات مسألة صراع و موازين قوى. و لن تجد طبقة مستعدة للتنازل عن مصالحها مبتسمة ، و حتى إذا ابتسمت ، فتذكر قول الشاعر: إذا رأيت أنياب الليث بارزة... هذه المقارنات نعدها في "الشمال".

فالدول الإشتراكية أعنف في مواجهة شعوبها من الدول الرأسمالية. و همومها تختلف. فالدولة الرأسمالية يهملها بالأساس شبكة الاستغلال ، و ليفكر كل فيما يشاء ، إذا كان الرأسمال بخير ، و بالطبع لا يمكنه أن يكون بخير ، إلا على حساب شعوب العالم الثالث ، التي يسحقها الاستغلال الامبريالي و المحلي ثم الاضطهاد السياسي. و ما أحلى جدالات اليونانيين إذا تناسينا العبيد! أما الدول الإشتراكية التي تقول بالماركسية اللينينية ، فيهمها أن يكون الرأسمال بخير⁵⁹.

و ألا يوجد لها مفكرون كبار غير ماركسيين ، و ألا يوجد أي حزب غير ماركسي ، و لا أية نقابة أو صحيفة غير ماركسية ، و ألا يقع شيء مماثل في دولة حليفة.

إن هذين الشكلين من الاستغلال و الاضطهاد الرأسمالي و الإشتراكي بصبغتيهما الشمالية و الجنوبية ، هي ما يطرح على شعوب العالم الثالث أن تتحرر منه. و تجربة شعوب العالم الثالث أصعب تجربة لأنها تخاض في ظرف تختل فيه موازين القوى لصالح الامبريالية. و نشير هنا إلى أن التجربة القصيرة للشيلي في عهد أليندي ، و التجربة البولونية من وجهة نظر نقابة التضامن بالخصوص ، غنية جدا ، و تحتاج إلى دراسة⁶⁰.

لحد الآن لم نطلع على أجوبة حول القضايا التي تثيرها أزمة الحركة الشيوعية ، سوى أنها مشاكل و عوارض ظرفية ، و

58. التعميم لا يفيد النقاش ، لابد من توضيح طبيعة البلدان التي يقصدها الكاتب.

59. هل يتكلم الكاتب عن دول اشتراكية !!؟

60. كل الأطروحات أعلاه تخدم تصويره الأساسي حول وجود شكلين للإستغلال و الاضطهاد ، الشكل الرأسمالي و الشكل الإشتراكي. و لعنا الآن ندرك معنى عموميته حول الدول الإشتراكية ، فالرأسمالية و الإشتراكية وجهان لنظام واحد استغلالي و اضطهادي ، و "على الله فليتوكل المتوكلون" ، هكذا ودع أحد دعاة "الذهاب إلى الطبقة العاملة" الفكر الماركسي عموما ، و ارتقى في أحضان الفكر المثالي البورجوازي الصغير.

أن النقد يتسم بالتضخيم و التشويه ... و إذا كنا نقر بأن كثيرا من أجهزة الإعلام الامبريالية تهاجم الدول الاشتراكية في إطار الدفاع عن مصالحها ، و إخفاء ممارساتها (الهجوم على الشعب الفيتنامي ، مساندة العنصريين و الأنظمة الدكتاتورية) ، فإن هذا ليس كافيا للتخلص من أسئلة حتمتها أزمة شيوعية لا سابق لها في التاريخ ، و تنبع من ظروف عيش الملايين من البشر في البلدان الاشتراكية ، و هي ظروف منافية لجو السعادة و الحرية و الخلق و الابتكار المخيم على المشروع النظري للمجتمع الاشتراكي.

و إذا كانت الدعاية الامبريالية لوحدها كافية لإحداث أزمة من هذا النوع ، فإن أي مشروع تقدمي سيحكم عليه منذ الآن بالفشل ، لأن الدعاية الامبريالية لن تتوقف ، فأمام تجاهل أزمة من هذا النوع ، لا يبقى للماركسيين المغاربة ، سوى الانحياز التدريجي لمواقف الحزب الشيوعي للاتحاد السوفياتي ، كما يظهر أنه يقع بالنسبة للجبهة الشعبية و الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين⁶¹.

فالتابع الوطني و التقدمي لنضالهما لم يتغير ، لكن المشروع الصيني بالنسبة لهما قد أفلس ، لذلك فرغم كل شيء ، نعتبر أن فشل الحركة الماركسية لحد الان ، راجع بالأساس للترجمة العملية لمواقفها ، و ليس أساسا لعلمية أو عدم علمية فكرها. و ما طرحته على نفسها في الأصل ، ليس أن تكون حركة سياسية قوية ، و لكن أن تعمل على بناء مجتمع خال من كل أشكال الاستغلال و الاضطهاد التي عرفها التاريخ ، و هذا هدف نبيل.

الآن ، و بعد أن تم الاكتشاف و التعرف على أشكال جديدة اشتراكية للاستغلال و الاضطهاد ، ما هي البراهين و التوجهات النظرية على الأقل الدالة على التوجه نحو ذلك الهدف. و هذا السؤال يطرح نفسه على كل مناضل تقدمي.

صدرت هذه المقالة بمجلة "الجسور" المغربية

العدد الثالث، السنة الأولى، أكتوبر- دجنبر 1981.

61. هناك خلط مقصود لدى الكاتب ، فالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ظلت على العموم تدمج بين فكرها القومي السابق و الفكر "الماركسي اللينيني" على الطريقة السوفياتية" ، و لم تقطع يوما من الأيام مع الإتحاد السوفياتي ، مركز التحريفية العالمية ، أما الجبهة الديمقراطية فقد غازلت بعض أفكار الثورة الصينية ، ثم ما لبثت أن تخلت عنها بسرعة البرق ، و أصبح زعيمها زائرا مداوما لموسكو ، فأصبح الإتحاد السوفياتي لديه قائدا للمعسكر الاشتراكي. و قد حصل هذا التحول منذ 1973 ، أي قبل موت ماو بسنوات.

إعادة البناء في مواجهة العفوية و الفوضوية¹

تقديم

أهذه الصفحات هي عبارة عن رد على بعض الطروحات التي تغزو هي الأخرى الساحة السياسية للحركة الماركسية-اللينينية المغربية ، و هي واردة في توضيح لبعض المناضلين الذين سبق لهم في يونيو 1979 أن وقعوا ما سمي " بيان

كل الهوامش هي من وضع موقع "30 غشت".

1. تنتمي هذه الوثيقة إلى فترة 1980 — 1981 ، فترة تميزت بصدور العديد من وثائق الخلاف داخل المنظمة الماركسية — اللينينية المغربية "إلى الأمام" ، ومن بينها بيان يونيو 1979 ، و بيان "التصحيح" الذي صدر بضعة أشهر بعد بيان يونيو 1979 ، حيث قام طرف من الموقعين للبيان الأول (جماعة عبد الله زعزاع وعبد الفتاح فاكهاني وآخرون) بتوضيح موقفهم من ذلك البيان وخلافهم مع باقي الموقعين ، (خاصة جماعة المشتري بلعباس وعبد الله المنصوري وآخرون) ، ثم صدور وثيقة الردة المعروفة ب "بيان موجه إلى الشباب المغربي والرأي العام الديمقراطي" لصاحبها المشتري بلعباس وعبد الله المنصوري ، ثم وثيقة "الحد الفاصل بيننا" التي أصدرها عبد الله زعزاع سنة 1981 ، ثم وثيقة "حول بعض التأملات النقد ذاتية لسنة 1979" لأبراهام السرفاتي ، بعض هذه الوثائق صدر بعد وثيقة "قرارات 12 نونبر 1979" التي أعلنت عن طرد مجموعة من العناصر المنتمية إلى الاتجاهين المذكورين أعلاه ، وذلك مزيدا من التوضيح لأصحابها لمواقفهم المعلنة والتي أدت إلى طردهم.

إن وثيقة "إعادة البناء في مواجهة العفوية و الفوضوية" جاءت بعد وثيقة حول "بيان المرتدين ، الانتهازية والكذب في خدمة الارتداد عن طريق الثورة المغربية" التي أصدرها موقع 30 غشت سابقا. فإذا كانت الأولى موجهة للرد على "بيان الردة" ، فالثانية هي بمثابة الرد على الاتجاه العفوي و التصفوي ، و صاحبها هو نفسه كاتب الرد الأول ، و يتعلق الأمر بأحد قادة ما سمي ب "مسلسل إعادة البناء" و هو أبراهام السرفاتي. و قد صدرت الوثيقة و هي تحمل توقيع "مناضل" ، أولا من باب التلميح ، و ثانيا لكون رفاقه في القيادة الجديدة لم يتفقوا بعد على الوثيقة ، و يظهر أن الاتفاق قد حصل فيما بعد ، فتم إصدار الوثيقة بصيغة معدلة ، تختلف نوعا ما عن الأولى و تحمل عنوان "العفوية و الفوضوية: الطريق المسدود" ، و ذلك في المجلة المغربية "إلى الأمام" ، السلسلة الجديدة ، عدد 4 ، غشت 1982.

و قد قرر الموقع إصدار الوثيقة الأصلية لصاحبها نظرا لوضوح الأفكار الواردة فيها ، و نظرا لكونها تلخص أهم الأطروحات ، التي كان يدافع عنها العفويون — التصفويون ، و هي من هذه الناحية تقدم خدمة تاريخية ، لمعرفة تاريخ الصراعات داخل المنظمة الماركسية — اللينينية المغربية "إلى الأمام". و قد جاء صدورها في فترة انتقالية كانت تعيشها المنظمة ، تميزت بتشكيل قيادة جديدة للمنظمة في صيف 1979 ، قامت ببلورة أطروحات جديدة ، تحت شعار "إعادة البناء" ، أهم ما ميزها رفضها لشعار التيار الثوري "التقييم الشامل و إعادة البناء" ، و انخراطها في ذلك ("إعادة البناء" من وجهة نظرها) بعدما استتب لها الأمر عن طريق مجموعة من التحالفات ، حيث قدم الوسيطيون و التوفيقيون خدمة للعناصر التي بدأت تبلور مواقف تحريفية ، استطاعت أن تسود داخل المنظمة ، بعدما تم عزل التيار الثوري ، عن طريق مجموعة من المناورات توجت بإطلاق حملة واسعة مشوهة ضد رفاق هذا التيار.

و صاحب هذه المقالة ينتمي إلى هذا التيار التحريفي الجديد ، سيصبح بعد 1985 منظره الرئيسي ، بل المنظر الرئيسي للتحريفية الجديدة بالمغرب ، و هو في هذه المقالة ما زال لم يتخل علنا عن الماركسية — اللينينية (و خاصة اللينينية) الشيء الذي سيقوم به لاحقا.

إن الرد الذي جاءت به الوثيقة ، على خط العفوية و التصفوية ، يعاني من طبيعة مواقف كاتبها ، الذي كان يتبنى أطروحات سياسية يمينية ، بل كان حليفا لموقعي بيان يونيو 1979 ، و مدافعا عن أطروحاتهم ، كما اعترف بذلك في نقده الذاتي الشهير.

هكذا لم تكن الوثيقة ردا حاسما و حازما ضد التصفويين ، لكون صاحبها لم يكن يتوفر على موقف سياسي ثوري من الأوضاع و من التجربة التاريخية لمنظمة "إلى الأمام" ، فتراه في المقالة يقدم هدايا للتصفويين حول خط المنظمة و تجربتها ، و ذلك دون أي تقييم موضوعي بالمعنى الصحيح للكلمة ، فما كان يهمه أكثر هو عودة هؤلاء إلى المنظمة. ثم إن من يرفض التقييم الشامل للتجربة لا يستطيع الرد بحزم على التيارات الانتهازية ، الإصلاحية منها و التصفوية ، و لا يمكن أن يضع النقط على الحروف فيما يخص انهيارات مجموعة من الأطر و القادة خلال فترة الاعتقال ، بل تحملهم المسؤولية في بعض الانحرافات التي عرفتها المنظمة ، و التي تم تصنيفها في خانة الانتهازية اليمينية تارة ، و الانتهازية اليسارية تارة أخرى.

إن اعتماد الكاتب على الماركسية — اللينينية ، في الرد على التصفويين ، هو مجرد سلوك انتهازي تضليلي دون قناعة حقيقية ، سرعان ما ستتكشف

لتجميد للعضوية من منظمة "إلى الأمام"²، غير أنه بعد أشهر غير هؤلاء المناضلين وجهة نظرهم من بيان يونيو 1979، و طرحوا توضيحا³ يبينون فيه خلافاتهم الجديدة مع بيان يونيو و منظمة "إلى الأمام" و الحركة الماركسية – اللينينية عموما. و توضيحتهم هذا الذي سيكون ملحقا مع هذا الرد⁴، أثار اهتمام مناضل⁵، كما أثار الغموض حول طروحات حل الحركة الماركسية-اللينينية مجسدة في تنظيماتها، بلبله لدى العديد من المناضلين في منظمنا "إلى الأمام" خاصة و أن النقط التي يثيرها هذا "التوضيح" تلتقي مع عدد من الطروحات أو تقاسمها نفس التحليل و الأرضية التي تنطلق منها، أطروحات تقول بالالتحاق بالطبقة العاملة لأن أية إعادة للبناء و لأية منظمة كانت، لن يعمل إلا على إعادة إنتاج التجربة السابقة: بناء منظمة بوجوازية صغيرة تعتمد على الشبيبة المدرسية أساسا⁶.

و رغم أن أصحاب الوثيقة قصدوا منها مجرد توضيح لخلافاتهم الحالية مع بيان يونيو و قناعتهم السياسية و النظرية، فإن ما أثاروه رأيت فيه خلافات جوهرية، انطلاقا من مهمات المنظمة الراهنة، و على رأسها مهمة إعادة بناء منظمة صلبة و راسخة جماهيريا، و ما تشكله طروحات التوضيح من انحراف و خطورة، هي الآن تجد رواجها لها في واقع الأزمة الحالية للحركة الماركسية-اللينينية المغربية⁷.

ب- و في إطار الصراع الديموقراطي الذي نرغب فيه على أساس ان يكون هادفا و بناء و رفاقيا، أقوم بهذا الرد، مساهمة في إجلاء بعض الغموضات التي تثيرها أطروحات فوضوية و تصفوية تتطلب التصدي الجماعي.

ج- و إن المنهج الذي سأتبعة في هذا الرد، ينطلق من معالجة عدد من الطروحات في تسلسلها حسب التوضيح نفسه حتى يسهل على القارئ تتبع الأفكار الواردة في التوضيح و الرد عليها، مستعملا على رأس كل نقطة عنوانا يهدف إلى إبراز نقطة عن أخرى، و قد يلاحظ رفاقي الأعضاء ذلك غير ضروري، ربما، و لكنني اخترت ذلك لأسباب منهجية تقرب

حقيقته بعد ذلك، حينما تخلى عن الماركسية – اللينينية جهارا، بعدما كان ذلك في السر، و ساهم في تصفية المنظمة، بعدما اتهم التيار التصفوي بذلك (سنتطرق لاحقا لمسلسل تصفية منظمة "إلى الأمام"، في دراسة مطولة ستصدر لاحقا).

وأخيرا، نصدر هذه المقالة تعميما للفائدة، من أجل فهم تاريخ المنظمة الماركسية – اللينينية المغربية "إلى الأمام"

2. يتعلق الأمر ببيان أصدره 52 من مناضلي المنظمة، أعلنوا فيه تجميدهم للعضوية داخلها، و ينتمي الموقعون على البيان إلى اتجاهات مختلفة، منها اتجاه المشتري بلعباس و عبد الله المنصوري، و اتجاه عبد الله زعزاع و عبد الفتاح فاكيهاني، و آخرون بدون انتماء لأي اتجاه.

3. بعد بضع شهور من صدور بيان يونيو 1979 المذكور أعلاه، أصدر مجموعة ممن سبق لهم أن وقعوا هذا البيان، و ينتمون إلى جماعة عبد الله زعزاع – عبد الفتاح فاكيهاني، بيانا تصحيحيا جديدا يعلنون فيه عن اختلافاتهم مع باقي الموقعين، و قد حصل هذا بعدما تعرضت جماعة الموقعين لبيان يونيو 1979 للتفكك والاندثار.

4. لا تتوفر على وثيقة "بيان التصحيح"، التي و لاشك أنها قابضة هناك لدى البعض، مما شاءت الظروف أن يتحملوا مسؤولية الحفاظ على الأرشيف.

5. المقصود هنا، أحد قادة ما سمي ب "إعادة البناء"، و التوقيع بمناضل هو فقط للتمويه، و لكون باقي القيادة، لم تتفق بعد على مضمون هذه الوثيقة ("إعادة البناء في مواجهة العفوية و الفوضوية") حيث سيتم إصدار صيغة معدلة عنها في مجلة "إلى الأمام" (تحت عنوان: "العفوية و الفوضوية: الطريق المسدود"، المجلة المغربية "إلى الأمام"، السلسلة الجديدة، عدد 4، غشت 1982).

6. شكلت أطروحة "الشبيبة المدرسية كمقدمة تكتيكية" المشجب الذي علقت عليه أطروحات الاتجاهات اليمينية و التصفوية و التحريفية الجديدة، و قد شكل نقد هذه الأطروحة ما يمكن تشبيهه بعبارة "حق أريد به باطل"، و من المعلوم أن هؤلاء النقاد لم يسبق لهم أن قدموا أي تقييم جدي لسياقها و مضمونها و انعكاساتها، داخل خط و تجربة منظمة "إلى الأمام" و الحلم.

7. في الواقع لم يقدم لأصحاب بيان التصحيح و لناقدهم صاحب الوثيقة ("إعادة البناء في مواجهة التصفوية و الفوضوية") تقييما مقنعا لانتقاداتهم للتجربة، بل كانوا جميعهم خلال التجربة التاريخية آنذاك معارضين لفكرة التقييم الشامل لتجربة المنظمة، مما جعل خلافاتهم تظل مهزوزة، و غير مؤسس لها بما يكفي من الجدية و الموضوعية و انضاح الحدود الفاصلة، فخلال هذه الوثيقة سيقدم صاحبها العديد من التنازلات، ذات الصلة بتجربة المنظمة لدعاة التصفية و العدمية، في محاولة توفيقية، لجرهم للعودة إلى المنظمة.

الموضوع من رفاقي .

د- و أخيرا إن نقدكم لها ترونه غير صحيح ، و ما قد أكون فيه مخطئاً أمر ضروري ، بل و واجب كل منا حتى نتقدم في إنجاز مهامنا⁸.

I- الحركة النقدية: جذورها و انحرافاتهما

تشير التوطئة التي تحتل قرابة النصف من الصفحة الأولى ، أن بيان يونيو "جاء في شروط معينة من الصراع داخل المنظمة ، و في ظل تنامي حركة نقدية جنينية تجاه تجربة و وقائع المنظمة و الحركة الماركسية-اللينينية ، جسد هذا البيان حلقة من حلقات تطورها ، و مستوى معيناً من الوعي بأخطاء هذه الحركة السياسية النضالية"⁹.
إن هذه التوضيحات الأولية التي قام بها هؤلاء المناضلين منعتهم ربما من تحديد هذه "الشروط" "المعينة" من الصراع داخل المنظمة و إبراز ما هي هذه "الشروط" التي تنامت فيها "حركة نقدية جنينية اتجاه التجربة".
نسمح لأنفسنا هنا بإعطاء بعض التوضيحات الأولية حول هذه الشروط التي جاءت فيها هذه "الحركة النقدية الجنينية" ، و التي لم تكن إلا مرحلة "أرقى" من مراحل الوعي بالتجربة و بأخطاءها ، و سوف نحاول رسم الإطار السياسي الذي جاءت فيه هذه "الحركة النقدية".

عرفت الساحة السياسية منذ 1978 تنامياً في نضالية الحركة الجماهيرية ، فنضالات الطبقة العاملة عرفت توسعاً خاصة خلال 1978 ، قياساً بالسنوات السابقة ، فاتخذت طابع الاتساع و التضامن في بعض القطاعات ، كما كان الحال مثلاً في مدينة المحمدية ، و دخول أهم القطاعات في إضرابات لا محدودة أو إنذارية ، كالكسك الحديدية و النقل الحضري. كما أن الفلاحين عرفوا بعض التحركات النضالية لمواجهة سياسة النهب و التشريد ، كما كان في حالة فلاحية تمارة. كما أن قطاع التعليم عرف تحركات نضالية هامة ، و خاض رجال الصحة والأبنك نضالات دفاعية هامة. كما سجلت بداية 1979 تحركات للشبيبة المدرسية ، بجانب الدفاع عن مطالبها ، كانت لها تحركات سياسية فوفقت رافضة زيارة الشاه ، و أحييت ذكرى استشهاد سعيدة ، و تخلل هذه النضالات صراعات سياسية حول قيادة أ.و.ط. م. ، و المسألة التنظيمية بين الطلبة الاتحاديين و التيارات الأخرى المتحالفة معهم ، و بين القاعديين. و خرجت للوجود الكونفدرالية الديمقراطية للشغل التي تبنت عدداً من النضالات خصوصاً في التعليم و الصحة. كما أن الاتحاد المغربي للشغل وجد نفسه أمام المد الجماهيري ، و أمام ك.د.ش. ، مضطراً لتبني نضالات الطبقة العاملة ، و التعريف بأوضاعها المتردية و مطالبها المادية. و بالنسبة للنظام ، فلم يكن يسمح بهذه النضالات الجماهيرية ، بل حتى القطاعات التي استطاعت أن تنتزع مكاسب مثل (أوطم: رفع الحظر) فلم يكل من العمل على إفراغها من مضامينها الديمقراطية و التقدمية. بل إن سياسة الجزرة و العصا ، المناورة و القمع ظلت هي القاعدة ، و اعتباراً للقمع هو الوجه الرئيسي في هذه السياسة.

و كان على الإصلاحية أن تسرع بين الحين و الآخر إلى "إبراز السلم الاجتماعي" و ارتباطه بتمتين "الجبهة الداخلية" و النقد الشكلي "للسلسل الديمقراطي" و الصمت على نضالات الجماهير ، و توجيه العداء نحو الخارج و القوى الثورية ،

8. تؤكد هذه النقطة ما جاء في الهامش (5) حول أسباب توقيع باسم "مناضل".

9. كثيراً ما ينسب معارضو الخط الثوري لمنظمة "إلى الأمام" (التصفويون ، الإصلاحيون ...) لأنفسهم ، أسبقية نقد الخط السياسي أو التجربة ، و الحقيقة التاريخية ، تثبت أن مناضلي الخط الثوري ، خلال هاته الفترة من تاريخ المنظمة ، كانوا السابقين إلى بلورة تصورات نقدية لتجربة و خط المنظمة ، مع الدفاع عن الجوهر الثوري لخطها.

و على رأسها منظمنا¹⁰ ، هذا في الوقت الذي عرف فيه النظام هزائم متكررة في حرب الصحراء عسكريا و دبلوماسيا و عزلة سياسية.

إن جدلية هذا الوضع: النضال و القمع ، تتعمق في ظروف تتميز فيه الحركة الثورية عموما و المنظمة بوضع ضعيف على جميع الأصعدة ، و بكلمة مختصرة في ظرف أزمة من جراء عمليات الإجهاض المتتالية من طرف النظام لضرب القوى الثورية ، و لتصفية مكتسبات الحركة الجماهيرية ، و من جهة أخرى فشل الخطوط السياسية و الإخفاق في إنجاز المهمات الرئيسية المطروحة على عاتقنا.

و على الصعيد الإفريقي و العربي و الدولي ، سجلت عدة تحولات سياسية يتقدمها كفاح الشعب الصحراوي و انتصاراته المتتالية العسكرية و الدبلوماسية و السياسية ، و انفضاح سياسة النظام الاستعمارية من خلال تدخلاته في الزاير و دول إفريقية أخرى.

و عربيا ، مواقفه الخيانية من تأييده الخجول لمعاهدة " كامب ديفيد " و استقباله للسادات مباشرة بعد عودته من "كامب ديفيد" ، ثم استقباله للشاه المطلوب رأسه من الشعب الإيراني ، كما أن انتصارات الشعوب في إيران و نيكاراغوا ، و ما خلفه هذا من تأثير سياسي و فكري ، نظرا لأن القوى المناضلة في هذه البلدان ضد الدكتاتوريات بها ، انتصرت و هي في شكل جبهات شعبية و وطنية¹¹ ، و موقف نظرية العوالم الثلاث من الصراعات الدولية له هو الآخر ، بجانب وضع الحركة الشيوعية العالمية و مشاكلها¹² ، تأثير لا يمكن نكرانه على العديد من الآراء و الطروحات داخل المنظمة لصيف 79 ، بجانب هذه التحولات السياسية ، هناك واقع التهميش الذي تعرفه المنظمة و الصراعات التي عرفتها نتيجة للخلافات في تقييم الوضع السياسي و التجربة.

في هذا الإطار السياسي العام ، ازدهرت الصراعات داخل المنظمة ، و هذا أمر إيجابي جدا¹³ ، ساعد على خلخلة بعض مفاهيمنا التي اعتقدنا في صحتها طويلا (مثل سداة الخط السياسي في جوهره ، و نظرية الثورة في الغرب العربي ، و الخطة التكتيكية ، و المقدمة التكتيكية) كل هذه المفاهيم أصبحت مثارا للنقاش ، و هذا إيجابي و سليم ، رغم الأساليب

10 . عرفت هذه الفترة من تاريخ المنظمة الماركسية – اللينينية المغربية "إلى الأمام" ، هجوما واسعا من طرف القوى الإصلاحية و التحريفية ، مدعمة من طرف النظام ، حيث وصلت حد الكشف عن أسماء المناضلين ، بل و التحريض ضدهم و ضد المنظمة ، حيث رفعت شعارات تدعو إلى إخراج المنظمة من الجامعة الطلابية ، فرجع هؤلاء شعارات عديدة منها شعار "إلى الأمام سييري ف حالك الجامعة ماشي ديالك" ، و سيجدون في الاتجاه الإصلاحية الذي ظهر داخل المنظمة ، كما في الأطروحات السياسية للتصوفيين دعما مباشرا ، و هكذا تشكل موضوعيا حلف غير مقدس ضد المنظمة.

11 . لقد كان هذا خلطا كبيرا ، ينم عن جهل بأبجديات الفكر الماركسي – اللينيني ، و بتجارب الحركة الشيوعية العالمية ، بالإضافة إلى الجهل بحقائق الأمور ، سواء بالنسبة للثورة الإيرانية ، التي أدت إلى استيلاء "الملاي" بقيادة الخميني على السلطة في إيران ، مستفيدة من أخطاء الحزب الشيوعي التحريفي الإيراني "تودة" ، و الخطوط الانتهازية اليسارية التي سارت عليها تنظيمات ثورية آنذاك ، من قبيل "فدائيي الشعب" و منظمة "مجاهدي الشعب" ، أما التغني بتجارب أمريكا اللاتينية ، من قبيل تجربة الجبهة السندينية في نيكاراغوا و غيرها من الجبهات السياسية – العسكرية ، من قبيل "فرابانندو للتحريير" في السالفادور و مثيلاؤها في العديد من دول أمريكا اللاتينية ، فكان ينم عن جهل كبير بتاريخ هاته الحركات و التيارات التي شكلتها ، و قد أثبت التاريخ طبيعتها التحريفية و الانهزامية ، و هنا لأبد من العودة مستقبلا لهذا التاريخ ، لأنه يمثل نموذجا للتحريفية اليسارية التي انتعشت بشكل كبير في ستينيات و سبعينيات و ثمانينيات القرن 20.

12 . لقد كان لموقف نظرية العوالم الثلاث ، بعض الأنصار داخل السجن المركزي ، و إن كانوا أقلية صغيرة ، لم تكن معروفة ، و سننشر لاحقا وثيقة لهذا التيار.

13 . لا يمكن الجزم بإيجابية هذا الأمر من وجهة نظر تاريخية ، إلا إذا كان لسبب وحيد هو إظهاره لوجود اتجاهات أو تيارات كانت تنتعش داخل المنظمة ، بعضها كان يعمل في الخفاء ، و البعض الآخر استغل الظروف التي كانت تجتازها المنظمة ، للمساهمة في الإجهاد عليها ، بعدما قدموا المنظمة على مذبح الجلادين طلبا لنجاتهم كأفراد.

الخاطئة التي عرفها الصراع لكن أمرها ثانوي هنا¹⁴.

إن ما يسميه أصحاب التوضيح بـ "الحركة النقدية" هو في هذه الحدود إيجابي ، لكن كيف تعامل العديد من مناضلي المنظمة مع الوضع السياسي الذي ذكرناه أعلاه؟ كيف انعكس هذا الوضع العام للصراع الطبقي في بلادنا و العالم على مفاهيم العديد من مناضلي المنظمة في 1979؟ أو كيف تعاملوا من جهة مع هذا الوضع ، و من جهة أخرى مع وضع المنظمة الضعيفة؟

سنعطي على ذلك أمثلة واضحة:

إن تنامي النضالات الجماهيرية (عمالا و فلاحين و برجوازية صغيرة عموما) لم يؤطر من طرف الحركة الثورية المغربية و خاصة المنظمة ، فالمنظمة إذن مهمشة ، و سبب فشالاتها هو سيادة خط انتهازي يساري¹⁵ ، يجب محاربتة لأنه أدى بالمنظمة إلى التركيز على الشبيبة المدرسية بدل إنجاز مهمة التجدر في الطبقات الأساسية: العمال و الفلاحون ، و إن هذا الخط السياسي هو السائد حاليا ، لأنه يعيد تجربة المنظمة التي فشلت ، فهو يعيد بناء منظمة داخل الطلبة و التلاميذ و يساريين متطرفين بشكل عام. و دفعهم هذا إلى الوقوف من الناحية السياسية إلى جانب الاتحاديين و التيارات الأخرى ، و هم حين يقومون بهذا العمل يعتبرون أن الخط السياسي الذي ساد في المنظمة – الانتهازية اليسارية – كان خطأ حلقيا اتجاه الأحزاب خاصة الاتحاد الاشتراكي ، و حتى يمكن محاربة هذا النهج السياسي القائم حاليا في المنظمة سيكون من المطروح العمل حاليا على إنجاز "جبهة القوى الثورية و الديمقراطية"¹⁶ من أجل الإسراع بالتخلص من "الانتهازية اليسارية" و التجدر داخل الطبقات الأساسية عن طريق هذه الجبهة ، التي يكون الاتحاد الاشتراكي من الناحية العملية ، و حسب هذا المنطق ، هو قائدها ما دام وضع المنظمة ضعيف جدا. لماذا "جبهة القوى الثورية و الديمقراطية" و ليس بناء الحزب البروليتاري كمهمة مركزية على الثوريين إنجازها ، يجيب "رفاقنا" بأن الثورات نجحت في إيران و أسقط رموزا و لم يكن في هذه البلدان أحزاب بروليتارية قائدة¹⁷. إن "حركة النقد" هذه انجرت نحو منزلقات يمينية ، فحولت المهمة المركزية الملقاة على الثوريين – بناء الحزب – إلى مهمة تشكيل جبهة يكون الثوريون في ذيلها ، هذا لأننا كنا في السابق "حلقيين" مع الأحزاب البرجوازية الصغيرة ، فبدل أن نبحث عن أسباب الأخطاء و نحللها لتصليب التوجهات السياسية للمنظمة ، يقوم "رفاقنا" من "حركة النقد" برمي المنظمة في أحضان البرجوازية الصغيرة و الاتحاد الاشتراكي ، لأن ظروفنا تاريخية من تنامي الصراع الطبقي فرضت على قياداته اليمينية الإصلاحية تبني بعض النضالات الجماهيرية.

إذا كانت منزلقات هذه "الحركة النقدية" سياسية ، كما مثلنا على ذلك أعلاه ، فإنها على المستوى التنظيمي أدت بأصحابها – لمواجهة الانتهازية اليسارية – إلى إعلان لتجميد العضوية من المنظمة ، و تصعيد حملة الإجهاز على مناضلي المنظمة ، و أدى ذلك إلى إخراج أسرار المنظمة بدعوى "الصراع الجماهيري" ضد قيادة المنظمة¹⁸.

14. ينطبق على هذا الهامش ما ينطبق على الهامش (13).

15. لم يقدم "أصحاب التصحيح" أي محاولة نقدية موضوعية ، لما سموه بخط الانتهازية اليسارية ، و هم في هذا لا يختلفون كثيرا عن التيار الإصلاحية بقيادة المشتري والمنصوري ، و لاعتناء الاتجاه التحريفي الجديد لأصحاب ما يسمى بـ "إعادة البناء".

16. سبق أن تطرقنا لسباق ظهور شعار "جبهة القوى الثورية و الديمقراطية" (انظر كراسة "من وثائق الصراع داخل المنظمة الماركسية – اللينينية" إلى الأمام "الجزء الأول).

17. ينطبق على هذه النقطة ما ينطبق على هامش (11).

18. استغل الانتهازيون ، الإصلاحيون منهم و التصفويون ، مبدأ سرية بعض وثائق المنظمة وقراراتها الداخلية ، للدفاع بشكل ديماغوجي ، عن ما

و لا ينبغي أن يفهم من هذا ، أن المنظمة خلال تجربتها لم يكن لها هي الأخرى أخطاؤها في هذا الصراع مثل أساليب الصراع الخاطئة من تصعيدات و بعض الأخطاء في تجسيد المركزية الديمقراطية ، لكن هذا لا يقلل من مجهودات المنظمة المتتالية من أجل حل المشاكل بانتهاج مرونة أكبر ، و اعتبارها أن الصراع الدائر في المنظمة صراع سياسي و إيديولوجي و لا يمكن حله إلا سياسيا ، و عدم لجوئها رغم الخروقات لأبسط مبادئ المركزية الديمقراطية و العلاقات التنظيمية من رفض للانضباط و اتهامات خطيرة لقيادة المنظمة ، رغم هذا لم تلجأ المنظمة لأي قرار تنظيمي ، لكن أصحاب "الحركة النقدية الجينية" ذهبوا بعيدا بتعميم آرائهم و خروقاتهم و إفشاؤهم لأسرار المنظمة ، مما اضطر المنظمة فيما بعد إلى اعتبارهم منسحبين بعدما رفض هؤلاء المساهمة في أي نقاش تقترحه المنظمة ، باعتبار أن آراء الجميع داخل المنظمة على قدم المساواة غاضين الطرف عن أخطر الأخطاء التي مارسها جزء هام من الذين يطلق عليهم و يطلقون على أنفسهم رواد "الحركة النقدية" في ضرب المنظمة¹⁹.

هذه هي "الحركة النقدية" التي يتحدث عنها أصحاب النقد ، و هي حركة في أطروحتها السياسية و نتائجها التنظيمية يمينية صرفة²⁰. نعم للنقد الإيجابي و الهادف ، نعم للصراع السياسي و الإيديولوجي الديمقراطي ، نعم لكل مبادرة ثورية جريئة تشجع على التفكير وفق المبادئ الماركسية-اللينينية... ولا للنقد و الصراع إذا انطلق من منطلق ضرب الرصيد الكفاحي للمنظمة.

إن أصحاب التوقيع ينطلقون منذ البدء من أنهم لم يعودوا متفقين على بيان يونيه ، وأنهم طوروا موقفهم ، فهل كان هذا "التطور" في اتجاه الاقتراب من المنظمة أم الابتعاد عنها؟ لنرى ذلك:
يعتبر التوضيح بأن "النقد الجيني" هو "أرقى نقد" ، يقول النص بالحرف:

"إن بيان يونيه كان حلقة في سيرورة ووعي مجموعة من الرفاق بجذور أسباب واقع الحركة الماركسية-اللينينية المغربية التي تعيش أزمة كبيرة...و كانت ميزة هذه الحلقة الرقي في تفسير هذا الواقع من مستوى إرجاع أسبابه إلى غياب صمود مجموعة من الرفاق و الأطر أثناء الاعتقال²¹ و خطأ بعض الأطروحات السياسية المنحرفة ، أو بعض السياسات المتبعة في تجربتنا داخل الحركة الطلابية أو حركة التلاميذ...الخ...إلى مستوى طرح أسباب الأزمة التي تعيشها "إلى الأمام" ترجع أساسا لسيادة خط سياسي برجوازي صغير ذو طبيعة "انتهازية يسارية" (التشديد من طرفي).

هناك إذن "رقي في الوعي" ، "رقي" في تفسير أسباب الأزمة لدى هؤلاء الرفاق. إن أصحاب التوضيح يريدون مغالطتنا عندما يعتبرون "الحركة النقدية الجينية" هي التي جعلت الوعي يرقى إلى مستوى إدراك أننا مخطئين ، حينما اعتبرنا أن غياب الصمود هو سبب الفشل ، و الحقيقة أن أولى التقييمات للتجربة لم تكن تعتبر غياب الصمود بشكل مجرد و عام كان سببا وحيدا لفشل المنظمة في إنجاز مهماتها ، لكنها اعتبرت أن الفشل الرئيسي آت من عزلة التنظيم عن

كانوا يسمونه بغياب الديمقراطية داخل المنظمة ، بمرر أن تلك الأسرار لا يعرفها الجميع.

19 . المعني هنا ، أولئك الذين كانوا ينتمون سابقا إلى قيادة المنظمة ، و عند اعتقالهم ، كانوا أول من سارع إلى إفشاء أسرارها ، و الإبلاغ عن رفاقها و مناضليها.

20 . هذا التصنيف غير دقيق ، فالتصفيون العفويون مثلوا على المستوى الإيديولوجي اتجاهها يسارويا ، و التقوا سياسيا مع أطروحات يمينية للتيار الإصلاحية ، و هذا التآرجح يعود لطبيعة التيار ، تيار بورجوازي صغير.

21 . عموما حاول التصفيون ، و من قبلهم الإصلاحيون ، في سياق الدفاع عن أطروحاتهم المرتدة ، تشويه الموقف الثوري ، و اختزاله في الصمود أو عدم الصمود ، لتبرير أخطاء التجربة ، و مثل هذا الموقف لم يكن موجودا تاريخيا ، أما التعامل مع عدم الصمود من طرف مجموعة من الأطر و القادة ، فقد كان الاحتكام فيه إلى النظام الداخلي للمنظمة ، الذي ساهم العديد منهم في صياغته ، بل أن أحدهم هو صاحب وثيقة "حول الصمود" و يتعلق الأمر هنا بعبد الفتاح فاكهاني ...

الجماهير و الابتعاد عنها ، و يأتي عدم الصمود كميزة في هذه التجربة²². و لكن الذي جاءت به التقييمات الأولية للتجربة ، و منذ زمان ، هو أنه لا يصح أن تفسر الانهيارات للعديد من الرفاق و القياديين منهم أساسا بخط الخطة السياسي . إنه في رأيي ، عندما يبيع رفيق قائد المنظمة للعدو ، و يفصل في إفشاء أسرارها التنظيمية ، لا يمكنه أن يظل قائدا ، و لا حتى رفيقا عاديا داخل المنظمة ، لأن إهداء أسرار المنظمة لا يبررها كون خط هذه المنظمة خاطئ أو سديد ، لأن المسألة الأولى المشروحة في مواجهة العدو ، الحفاظ على المنظمة و التضحية في سبيلها ، و ليس التضحية بالمنظمة من أجل إنقاذ الذات. إن التوضيح يريد مغالطتنا إذن ، و نحن نورد هذه الحقيقة فقط التي يتناساها أصحاب التوضيح لتبرير هذا الذي يسمونه "الرقى" في تفسير أسباب أزمة المنظمة. هذا الرقى الذي لا يعني في جوهره غير التخلي عن مبدأ الصمود الذي تعتز به المنظمة باعتباره أحد عناصرها الثورية.

وقع "رقى" في التفسير من "عدم الصمود" كسبب في فشل هذه التجربة إلى "الانتهازية اليسارية" كفشل كذلك. التفسير الثاني "أرقى" من الأول !!! شيء غريب حقا!

إن بيان يونيو²³ يجعل من سيادة الخط "الانتهازي اليساري" هو أصل المصائب. الأمر في نظري لا يختلف ، فإذا كان من يعتبر بأن فشل التجربة يرجع للخط السياسي لأنه خاطئ ، فهو حين يقول في يوم آخر بأن الخط السائد و الذي ساد في تجربة المنظمة هو "الانتهازية اليسارية" ، لم يحصل عنده أي "رقى" ، فإذا كان هناك خط "انتهازي يساري" فهو خاطئ. الفرق هو أنه في 1978 كان البعض يقول بخط الخطة السياسي في جوهره ، و اليوم يقول "سيادة الانتهازية اليسارية". أي "رقى" طرأ على تفسير الأزمة؟! هناك إذن تراجع على أهم مكتسبات تجربة المنظمة: الصمود كحجر من أحجار الزاوية في خطها. و لقد استطاعت الممارسة أن تثبت بما لا يدع مجالاً للتردد على أن قادة "حركة النقد الجينية" الذين "ارتقوا" في أسباب تفسير الأزمة ، هم الذين قدموا المنظمة بمزيد من التفصيل و الشرح لأجهزة البوليس²⁴. إن "حركة النقد" لعبت دورا في إبراز مختلف الطروحات السياسية داخل المنظمة بكل تلاوينها ، و هذا أمر إيجابي جدا²⁵. و لكن انحراف "حركة النقد" إلى المنزقات التي مثلنا عليها ، نعتبر أصحاب بيان يونيو أخطأوا في المنطلقات و النتائج. و لا يزال سؤالنا مطروحا على أصحاب التوضيح الأخير أنفسهم الذين ينتقدون بطريقتهم بيان يونيه. سنحاول فهم مواقفهم أكثر من خلال النقاط التالية:

II- الحركة الماركسية-اللينينية المغربية حركة سياسية برجوازية صغيرة

ما هو الوعي الجديد الذي تبلور لدى رفاقنا أصحاب التوضيح؟ ينتقدون أولا بيان يونيو 1979 الذي يعتبر الحركة

22. إن تعامل أصحاب بيان "التصحيح" ، و من قبلهم الاتجاه الإصلاحي اليميني ، مع مبدأ الصمود بطرق مختلفة ، حسب اللحظة أو الفترة التي تم التطرق فيها إلى هذا المبدأ ، مثال قرارات يونيو 1977 ، التي رفضها زعماء اليمين الإصلاحي جملة و تفصيلا ، في محاولتهم الإبقاء على موقعهم في قيادة المنظمة ، بينما زعماء الاتجاه التصفوي اللاحقون فقد قبلوا تلك القرارات و اعتبروها سليمة ، بل اعترفوا بعدم صمودهم و تجسدهم لخط المنظمة (مثال عبد الله زعزاع ، عبد الفتاح فاكيهاني ...) ، و في سياق ذلك كتبوا نقدا ذاتيا وجهوه إلى قيادة المنظمة ، بل بعضهم قدمه جماهيريا (مثال عبد الله زعزاع) ، لكنهم سرعان ما تراجعوا عن مواقفهم إبان الصراعات التي هزت المنظمة ربيع - صيف 1979 ، ثم قاموا بالتنظير لذلك.

23. المعني هنا "بيان يونيو 1979" المذكور أعلاه.

24. يتعلق الأمر بحقيقة تاريخية لا غبار عليها.

25. لا نشاط الكاتب هنا فكرته خاصة إذا وضعنا الأمور في سياقها التاريخي.

الماركسية اللينينية المغربية (الحلم) "تتقاطعها الانتهازيتين اليمينية²⁶ و اليسارية"²⁷، و الأخيرة هي الأخطر في المرحلة الحالية. أصحاب التوضيح يقولون: "أغلب اتجاهات الحلم منذ نشأتها، و رغم الصراعات التي مرت بها، و التناقضات التي عرفتتها ظلت دوما تحمل تصورا متناقضا حول واقع الحلم، ما بين اعتبارها حركة مثقفين ثوريين ماركسيين-لينينيين من جهة، و بين اعتبارها نواة أولى و مشروعا لحزب البروليتاريا الثوري المغربي من جهة أخرى... و لذلك فإن بيان يونيو لم يخرج عن هذا التناقض".

إن أصحاب التوضيح إذن يختلفون مع بيان يونيو، و اعتبروه لم يحل التناقض الذي كانت الحلم غارقة فيه، ما هو البديل إذن؟

يجيب التوضيح على ذلك من خلال تساؤلين: هل الحلم تشكل نواة الحزب البروليتاري المغربي؟ أي هل تنظيمات الحركة الماركسية-اللينينية، و تنظيمنا على رأسها في الظرف الراهن، يمكنها أن تكون حجرة على طريق بناء الحزب؟ هذا هو السؤال الأول، و السؤال الثاني مرتبط بالأول، هل الحلم حركة مثقفين ثوريين؟ إن رفاقنا أصحاب التوضيح ينتهون إلى الجواب بأن الحلم حركة سياسية منفصلة عن البروليتاريا و معزولة عن الجماهير ذات المصلحة الأساسية في الثورة.

- ما هي الحثيات التي تؤدي إلى هذه النتيجة؟

أ- "إن البروليتاريا ليست معطى مسبق و خارجي عن حركة البروليتاريا، و لا يمكن أن تنبثق إلا من نضالات البروليتاريا و من صفوف طليعتها الكفاحية، و تتشكل هذه النواة في صلب الحركة العمالية في ظل ارتباط عضوي فعلي بها"

ب- "الحلم حركة سياسية انبثقت من صلب الأحزاب البرجوازية الصغيرة، و من نضالات الشبيبة المدرسية، و ظلت مدى تجربتها تجد قاعدتها الاجتماعية و النضالية في هذه الشبيبة، مفتقدة لأي موقع داخل الحركة العمالية"²⁸.
إن الإستشهادين المعروضين كحثيتين معناهما أن نواة البروليتاريا لا يمكنها أن تكون من الحلم، فالمهمات الملقاة مثلا على عاتق منظمنا، و التي تصب كلها في المساهمة في بناء الحزب البروليتاري المغربي، تكون حسب هذه الحثيات مجرد وهم. فالحلم حركة سياسية برجوازية صغيرة... الحلم ليست حركة مثقفين ثوريين، و ما دامت هي كذلك فلا يصح أن نقول على حركة برجوازية صغيرة مثل الحلم أنها ستعمل على إنجاز مهماتها التي على رأسها المساهمة في بناء الحزب البروليتاري.

لكن كيف يعتبر رفاقنا أن الحلم ليست حركة مثقفين ثوريين؟ يجب رفاقنا: "أن أحد الخصائص الجوهرية للمثقفين الثوريين الماركسيين اللينينيين هو اندماجهم العضوي و الفعلي بحركة الجماهير، ذات المصلحة الأساسية في الثورة، و في مقدمتها الحركة العمالية".

"إن حركة المثقفين الثوريين لا يمكنها أن تكون حركة بروليتارية، تحدد لنفسها إنجاز مهمات البروليتاريا بديلا عن البروليتاريا نفسها، و لا يمكنها كذلك أن تبني علاقاتها الداخلية على قاعدة التنظيم الحزبي البروليتاري، لأنها لا تشكل

26. المعني هنا القيادة الجديدة لمنظمة "23 مارس" و خطها السياسي الجديد، و هي المجموعة المعروفة، التي ستتحلق فيما بعد حول جريدة "أنوال".

27. المقصود هنا منظمة "إلى الأمام".

28. إنها نفس الأطروحة التي جاء بها بيان الردة للإصلاحيين (انظر من وثائق الصراع داخل منظمة "إلى الأمام"، الجزء الأول).

حزبا للبروليتاريا".

استشهدت بما جاء به رفاقنا من حجج للدفاع على هذه المقولة:
"الحلم حركة سياسية بوجوازية صغيرة" و "لا يمكنها أن تعمل على بناء حزب البروليتاريا أو المساهمة فيه"
سنضع عنوانا للرد على هذا الطرح في صيغة سؤال:

- الإشكالية العملية هي: كيف يتم الارتباط و الاندماج بين الحلم و حركة البروليتاريا المغربية؟؟

1- هل " نواة البروليتاريا معطى مسبق " و " خارجي عن حركة البروليتاريا"؟

أ- لنحدد أولا بأن البروليتاريا هي معطى له خصوصيته ، حتى يسهل علينا تحديد هل نواة البروليتاريا تنبثق من هذه الخصائص نفسها ، المتوفرة في واقع البروليتاريا المادي ، أم أن النواة البروليتارية معطى مسبق ، بمعنى أنه يأتي من خارج الطبقة العاملة ، يأتي بعيدا عن حركة البروليتاريا النضالية؟

• تميزت البروليتاريا بشكل عام في كل البلدان ، و في بلدنا كذلك ، بكونها الطبقة المعرضة للاستغلال أكثر ، بشكل مباشر ، و لأبشع صورته المادية و المعنوية ، مما يجعل هذه الطبقة تكون مؤهلة موضوعيا و تطمح لتغيير أوضاعها. فهي بحكم امتلاكها لسلعة واحدة هي قوة عملها ، و حرمانها من ملكية وسائل الإنتاج ، تكون لها المصلحة الأساسية و الأولى في الثورة. و البروليتاريا بوعيتها —عبر التنظيم السياسي المستقل — لمصلحتها كطبقة ، و بضرورة هذه الثورة ، لن تعمل إلا على خسران قيدها الذي يكبلها به مستغلوها و أعداؤها الطبقيون. كما أنها بحكم واقعها المتردي تحمل مشروع تجاوزه نحو مجتمع ينتفي فيه استغلال الإنسان للإنسان.

• من مميزات البروليتاريا ثانيا ، توажدها في مراكز الإنتاج الرأسمالي العصرية ، مما يجعلها ترتبط بوسائل الإنتاج الأكثر تقدما. إن هذا العنصر يجعلها كذلك تكتسب خبرة تقنية ، مما يجعلها مؤهلة عبر الممارسة لاكتساب المعطيات الأولى للمعرفة العلمية ، التي تتطور بشكل ثوري ، مع تنامي وعيها السياسي الذي يفترض ضرورة الحزب المستقل لها.

إن توажدها في الوحدات الإنتاجية الرأسمالية الكبرى خاصة ، يفرض عليها أن تعمل جماعيا ، مما يجعل المعطيات الأولى الموضوعية للعمل الجماعي المنظم ممكنة ، و ما يفرضه هذا العمل الجماعي من إمكانيات للانضباط ، و إعطائه عبر التنظيم دوره الثوري. إن هذا يؤهلها لخلق و ابتكار أشكال راقية من التنظيم تعتمد على المركزية الديمقراطية.

• إن مميزات البروليتاريا ثالثا ، أنها كطبقة يرتبط تحريرها لنفسها من الاستغلال و الاضطهاد ، باعتبارها الطبقة الثورية حتى النهاية ، بتحرير المجتمع بكل طبقاته الوطنية و فئاته المناهضة للامبريالية و الكمبرادور و الملاكين العقاريين ، و لذلك فنضالها مرتبط حتما بمختلف الطبقات و الفئات الوطنية في المجتمع ، و التي على البروليتاريا أن تقود هذا النضال في إطار مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية (ث.و.د.ش).

• من مميزات البروليتاريا رابعا ، هو أنها بحكم ارتباطها بنمط الإنتاج الرأسمالي السائد عالميا ، يجعلها تدخل خندق البروليتاريا العالمية المعادية للامبريالية و استغلالها للشعوب.

ب- إن تحرير هذه البروليتاريا من القمع و الاستغلال و الاضطهاد يفرض بالضرورة وعي هذه البروليتاريا و تجذيرا للإيديولوجية الثورية داخلها ، و التفافها حول هذه الإيديولوجيا الثورية التي هي إيديولوجيتها ، لأن هذه الإيديولوجيا ليست إلا التعبير النظري على وجودها كطبقة و موقعها في نمط الإنتاج الرأسمالي ، هذه الإيديولوجيا هي الماركسية —اللينينية كما

يقول "بتلهاييم"²⁹.

إن الماركسية - اللينينية لها أسسها المادية في واقع البروليتاريا ، و لذلك بالضبط كان لهذه النظرية الثورية تلك القدرة على الالتحام بالطبقة العاملة بسرعة خارقة ، إذا ما توفرت الشروط الموضوعية و التناقضات التي تعيشها البروليتاريا درجة معينة من الحدة.

إن البروليتاريا بحكم واقعها و الاضطهاد الممارس عليها ، تلجأ إلى أشكال من "التنظيم" لقوتها للدفاع عن مصالحها ، و لكن هذا التنظيم ، ليس في حقيقته إلا نوعا من التحقيق العفوي للإيديولوجية البروليتارية ، تنظم نفسها لأن ذلك مفروض عليها لتواجه شروط الاستغلال ، و لبيع قوة عملها في شروط أفضل ، هذا النوع من التنظيم يكون عفويا و غير صلب ، لا يكون قادرا على الاستمرار بحكم انعدام الرؤية الواضحة لمصالحها الطبقة كطبقة تواجه طبقة مضطهدتها الرأسماليين. و التجربة النضالية للطبقة العاملة في بلدنا أبرزت ذلك بشكل واضح في نضالات عمال مناجم خريبكة و جرادة ، حيث كان العمال يخلقون في هذه القلعات أشكالا من التنظيم في صيغة لجان عمالية تسير الإضراب ، و تعمل على إنجاحه ما أمكن ، تجاوزا لمناورات البيروقراطية النقابية و إدارة هذه المؤسسات ، و لكن سرعان ما ينتهي هذا الشكل من التنظيم بانتهاء الظروف التي فرضته مؤقتا ، أو عندما تخف حدة الصراع نسبيا. و إن المسلسل النضالي الذي مرت به الطبقة العاملة المغربية رغم تجاوزه في بعض الشعارات و الأشكال النضالية للبرجوازية ، لم يحقق في الحقيقة استقلاليتها السياسية و الإيديولوجية و التنظيمية ، و لم يؤد بنضالاتها إلى تجاوز سقف النضال الاقتصادي كما تنظر إليه البرجوازية و التحريفية في بلادنا.

إن تجاوز هذه الهشاشة و هذه الصفة المؤقتة ، و تحقيق استقلالية الطبقة العاملة سياسيا و إيدولوجيا ، هو ما يعطي هذا الدرس العظيم و الضروري لنجاح الثورة: الحزب. هذا الجهاز الإيدولوجي و السياسي البروليتاري المتميز ، حزب ماركسي- لينيني يحمل الإيديولوجية البروليتارية.

إننا نعتبر أن النواة البروليتارية ليست معطى مسبق ، بل هي كامنة في الواقع المتحرك للطبقة العاملة و نضالها ، لكن كيف يمكن للبروليتاريا إدراك ذلك ؟ كيف يمكن الرفع من مستواها النضالي العفوي ليصبح نضالا سياسيا واضحة مرامييه الطبقة ؟ كيف تتوصل البروليتاريا إلى الإدراك العقلي لأهمية التنظيم و الحزب المستقل ، و تجاوز إدراكها الحسي بخلق أشكال هشة مؤقتة تفرضها ضرورة النضال الاقتصادي ؟

هذا هو المشكل إذن ، يسجل هذا التوضيح رؤيتي إلى النواة البروليتارية. لأن الجواب عليها سيكون ناقصا ما دام أصحاب التوضيح يعتبرون "إلى الأمام" و الحملم عموما ليست حركة مثقفين ثوريين ، و هو ما أرفضه تماما.

2- يقول التوضيح: "الحملم حركة سياسية انبثقت من نضالات الشبيبة المدرسية" و "من صلب الأحزاب البرجوازية الصغيرة" و يقول أيضا "الحملم ليست حركة مثقفين ثوريين ماركسيين - لينينيين ، و إنما هي قوة سياسية تعتمد على قاعدة اجتماعية محددة تكمن في الشبيبة المدرسية و تعيد إنتاج نفسها".

إن أصحاب التوضيح في دفاعهم عن حل التنظيمات الماركسية- اللينينية المغربية ، كما سنوضح ذلك بعد قليل ، لم يكلفوا أنفسهم تحليل الأسباب التي أدت بهم إلى "الإزدهار" الذي عرفته التجربة داخل هذا القطاع ، و يكتفون بتسطير "الحملم قوة سياسية برجوازية صغيرة" ، و سنحاول هنا إعطاء خطوط أولية أو أفكارا عامة حول هذه الظاهرة.

29 . انظر كتاب "حول بعض قضايا الاشتراكية" الذي ألفه شارل بتلهاييم ، بشكل مشترك مع الاقتصادي الأمريكي بول سوزي ، و شارل بتلهاييم له مؤلفات كثيرة أشهرها "الصراعات الطبقة في الاتحاد السوفياتي".

إن الواقع الاجتماعي لفئة الشبيبة المدرسية واقع غير متجانس ، و هي بشكل عام تنتمي إلى البرجوازية الصغيرة (الطلبة خصوصا) ، و هي تدخل ضمن الجماهير الواسعة للبرجوازية الصغيرة ، أي تلك الطبقة التي لا يمكن أن تحقق مصالحها الموضوعية إلا بانتصار ال "ث.و.د.ش تحت قيادة البروليتاريا.

و تتميز الشبيبة المدرسية بكونها ذات حساسية أكبر للصراع الإيديولوجي من بقية الفئات الأخرى من البرجوازية الصغيرة. و هذه الصراعات ليست رغبة ذاتية أو نتيجة لأعمال فردية ، بل ، هي تعبير عن آراء و مواقف تيارات سياسية تعبر عن نفسها في كثير من الأحيان بشكل منظم ، و هي تعكس مصالح موضوعية لطبقات اجتماعية أو شرائح فيها. و في هذا الإطار العام ، و في ظروف تاريخية دقيقة اجتازها الصراع الطبقي بالبلاد ، يمكن فهم تشكل ما يطلق عليه بالحلم في نهاية الستينات. و يمكن تلخيص هذه الظروف التاريخية كما يلي:

• على الصعيد الوطني:

- الأزمة التي عرفتها الطبقة الحاكمة في إعادة هيكليتها كطبقة مرتبطة بنمط إنتاج رأسمالي تبعي ، و أزمة الامبريالية نفسها من جهة ، و مرتبطة بالتوسع المتسارع في نهاية الستينات للملكية العقارية الرأسمالية الكبيرة.
- مقاومة الجماهير الفلاحية لهذا التوسع.
- النضالات الأولى للطبقة العاملة في 1968 بعد فترة الركود الطويلة التي عرفتها تحت هيمنة البيروقراطية النقابية.
- الظهور الجديد لنضالات الشبيبة المدرسية في 1968 و بعد أن استخلصت تيارات سياسية بعض الدروس من إفلاس القوى الإصلاحية بعد مارس 1965.

• على الصعيد الخارجي:

- بروز المقاومة الفلسطينية في مقدمة الثورة العربية بعد إفلاس البرجوازيات العربية في يونيو 1967 ، و بروز تنظيمات داخل المقاومة الفلسطينية تستند على الماركسية اللينينية.
- المكتسبات التي حققتها البروليتاريا الصينية من خلال نجاح الثورة الثقافية في الصين و تأثيرها على العديد من الثوريين في عدة بلدان.

إن هذه الظروف سهلت عملية تشكيل منظمات ذات طموح ثوري و مكونة أساسا من مثقفين و طلبة و تلاميذ يتبنون الماركسية-اللينينية. و هذا لا يعني أنها قاعدة اجتماعية قادرة على عكس النتائج التي يصل إليها أصحاب التوضيح ، و ذلك لسبب رئيسي هو أنه يستحيل البناء الصلب لتشكيلة سياسية و اجتماعية على قاعدة الشبيبة المدرسية ، لأنها هي نفسها لا تكسب قاعدة مباشرة و قارة في الإنتاج و علاقات الإنتاج.

أقول ببساطة ، بأن هذا الوضوح لم نكن نمتلكه في 1970 عند النشأة ، و لقد كانت مختلف التيارات المتواجدة في هذه التنظيمات تظن أنها ستتمكن بدون صعوبات كبيرة من تحقيق ارتباط بالجماهير الأساسية (العمال و الفلاحون). و لم تكن الخلافات حول أية طبقة يمكن إعطاؤها الأولوية و الأهمية الأكثر. الطبقة العاملة ؟ أم الفلاحين ؟ كما أن شكل العنف الثوري هو الانتفاضة أو الحرب الطويلة الأمد ، و دور العنف في عملية الثورة بشكل عام ، و العلاقة بين الحزب و الجماهير حول عملية بناء الحزب ، لم تكن هذه القضايا و الخلافات حولها لتظهر إلا بشكل ثانوي في دينامية و حيوية نشوء تنظيمات كانت بالفعل تعتبر نفسها ماركسية-لينينية ، من خلال القطيعة التي أعلنها مناضلوها مع الإصلاحية و التحريفية.

إن فئات البرجوازية الصغيرة التي ينبثق منها هذا الجزء من الشبيبة المدرسية ، لا يمكنها حل التناقض الرئيسي في

المجتمع الذي لها مع العدو الطبقي للشعب إلا إذا وضعت نفسها تحت قيادة البروليتاريا ، في العملية التي تؤدي إلى الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية.

إن تنظيمات المثقفين الثوريين المتبنين للماركسية-اللينينية تجمع أساسا مثقفين و مناضلين من الشبيبة المدرسية الذين توصلوا إلى الوعي التاريخي بهذه الحقيقة الموضوعية.

إن التناقض الذي يجب أن تحله هذه التنظيمات هو التالي: إن القاعدة الاجتماعية التي تركز عليها لا يمكنها بنفسها ، و خلافا لما كان سائدا لدينا في بداية السبعينات أن تلعب دورا محركا في الصراع الطبقي ، لأن هذه القاعدة التي تسجل بأنها موضوعيا ثورية تتأثر بشكل عام في نضالها بنضال مجموع الشعب ، و تتأثر بشكل خاص بمشاكل البورجوازية الصغيرة ، و تكون معرضة للانحرافات ، يمينية و يسارية. و نعتقد بأن الأسلوب الوحيد لتجاوز هذا التناقض هو بناء منظمة صلبة من المناضلين الثوريين المتمرسين بالنضال تحت نيران العدو ، و هؤلاء المناضلين الذين يتخلون عن جوهرهم البورجوازي الصغير ، و يستطيعون من خلال الممارسة إنجاز عملية التجذر في الطبقة العاملة و الطبقات الأساسية ، و على أساس نظرة سديدة لعملية بناء الحزب البروليتاري ، نظرة سديدة لطبيعة هذا الحزب نفسه في ارتباط مع العمل داخل الجماهير.

إن هذا الفهم هو الذي يرفضه رفاقنا أصحاب التوضيح دون أي تحليل لخصائص الشبيبة المدرسية و المثقفين الثوريين في بلادنا ، و كيف يمكن تجاوز الأخطاء السابقة.

"الخاصية الجوهرية للمثقفين الثوريين الماركسيين – اللينينيين هو اندماجهم العضوي و الفعلي بحركة الجماهير ذات المصلحة الأساسية في الثورة. و لا يمكنها أن تشكل خارج الحركة الجماهيرية" هكذا يقول التوضيح ، و هو لا يأتي بجديد لأن خاصية المثقفين الثوريين الماركسيين – اللينينيين هي حقا العمل و الارتباط بالجماهير و الاندماج الفعلي بها ، و الجماهير الأساسية منها.

كما نعتبر أن هؤلاء المثقفين الثوريين ليس من حقهم و لا يصح مطلقا أن ينصبوا أنفسهم كبديل عن البروليتاريا ، فهم ليسوا أوصياء عليها ، و لا يصح مبدئيا أن يكونوا كذلك ، هذا صحيح تماما ، لكن خلافا لرفاقنا أصحاب التوضيح ، نعتبر أن الحركة الماركسية-اللينينية حركة مثقفين ثوريين ، و نعتبر منظمنا منظمة ثورية تتبنى الماركسية - اللينينية ، مهما كانت الأخطاء و الانحرافات في التعامل مع النظرية الثورية كمنهج و مرشد للعمل ، و لا يزال مطروحا عليها رغم الفشلات التي هي فشلات مؤقتة أن تسير في اتجاه تصليب نفسها من خلال إنجاز مهماتها في التجذر داخل الطبقة العاملة و الفلاحين و حسب واقعها الذاتي و طاقاتها.

و خلاصة لهذه النقطة التي كان عنوانها الكبير الحركة الماركسية-اللينينية المغربية حركة سياسية بورجوازية صغيرة. نقول إن النواة البروليتارية لا يمكنها أن تبزغ بين عشية و ضحاها و بشكل عفوي من داخل الطبقة العاملة و نضالها الاقتصادي المحدود. فإذا كانت هناك إمكانيات هائلة داخل الطبقة العاملة لتبني الفكر الثوري و تحقيق إيديولوجيتها ، فإن هذا الأمر يتطلب من التنظيم الثوري المتبني لإيديولوجيا الطبقة العاملة ، و من خلال الممارسة داخل الطبقة العاملة ، و الارتباط العضوي بها و الاندماج بطلائعها ، أن يساهم فعلا في تقدم مسلسل بناء الحزب البروليتاري و ذلك من خلال النضال و التنظيم داخل البروليتاريا. هناك عمليتان تسييران في اتجاه فرز النواة البروليتارية فلبسطهما على الشكل التالي:

(1) واقع الطبقة العاملة:

و يتضمن:

- الاستغلال كنتيجة لعلاقات الإنتاج و ما يوفره ذلك من إمكانيات و طاقات و رغبة حسية و وعي حسي في الانعتاق و التحرر.

- الارتباط بوسائل الإنتاج المتقدمة و ما يوفره من إمكانيات و من استعداد للتنظيم و الانضباط.
- العمل الجماعي و ما يوفره من وعي حسي بضرورة الوحدة و النضال.

(2) تنظيمات المثقفين الثوريين الماركسيين-اللينينيين

- التبنّي للنظرية الثورية و التشبث و الاهتمام بها ، و ما يوفره ذلك من التحام بالطبقة العاملة باعتبار الإيديولوجيا المتبناة من طرف هذه التنظيمات هي إيديولوجيا البروليتاريا.

- المساهمة السياسية المرتبطة بالممارسة لمواجهة هيمنة الفكر البورجوازي على الطبقة العاملة ، و شحذ هذه الأخيرة لتمسك بسلاحها النظري و التنظيمي و السياسي و تطوير وعيها الطبقي.

- الاستعداد المتوفر لدى هؤلاء المثقفين الثوريين و تنظيماتهم للممارسة ، من خلال التجذر داخل الطبقة العاملة و الفلاحين.

إن الالتقاء و الاندماج بين هاتين العمليتين في النضال و الصراع الطبقي و بارتباط مع نضال كافة الشعب و فئاته الوطنية ، يوفر إمكانية بروز نواة البروليتاريا ، التي ليست مشكلتها مشكلة معطى مسبق أو معطى موضوعي قائم ، بل هو نتيجة كفاح و نضال.

III-الحركة الماركسية-اللينينية المغربية لن تتجذر؟!...

هذا العنوان اخترناه لإبراز جانب آخر في رؤية أصحاب التوضيح ، فإذا كان الجانب الأول متعلق بالأساس الطبقي و التحديد السياسي ، فإن هذا الجانب التنظيمي الذي ندخل فيه الآن يخص الجانب التنظيمي و جانب العلاقات الداخلية لتنظيمات الحمل و المنظمة خصوصا ، سنحاول الرد على أهم ما جاء في هذه النقطة.

"إن الحركة الماركسية اللينينية المغربية هي حركة بورجوازية صغيرة نظرا لعلاقاتها الداخلية البيروقراطية و تنظيمها النخبوي و الشبكي ، و بالنظر لعلاقاتها مع الجماهير ذات الطبيعة الفوقية و الحلقية ، و بالنظر لتوجيهاتها السياسية و الإيديولوجية التي حددت مشاريع ثورية ذاتية و جاهزة ، تبلورت خارج حركة البروليتاريا المغربية و حركة الجماهير ذات المصلحة الأساسية في الثورة"

إن تجربة المنظمة في ميدان العلاقات الداخلية هي الأخرى كانت محملة بمضامين خاطئة حول المركزية الديموقراطية ، فغلبت المركزية تحت ضغط و شروط العمل السري و صعوبة النقاش الديموقراطي الواسع ، في واقع التجربة ، هذا واقع موضوعي لا ننكره ، و لكن لا يبرر التركيز على المركزية لدرجة البيروقراطية.

ففي تجربة المنظمة لم يكن الصراع السياسي و الإيديولوجي الديموقراطي الواسع يخرق عموم المنظمة عموديا و أفقيا في كل القضايا السياسية التي تهم المنظمة و الثورة ، و لا يعني هذا أن الصراع و النقاش كان منعزلا ، بل على العكس ، كانت هناك صراعات سياسية ، لكن لم تعمم على مستوى عموم المنظمة لإبداء الآراء حولها ، و لقد مارسنا هذا الفهم و نحن مقتنعين بأطروحة وحدة المنظمة: وحدة الفكر و الإرادة ووحدة الممارسة³⁰.

30. هذه النظرة المونولوتيمية كانت سائدة داخل الكتابة الوطنية للمنظمة ، بينما كان العديد من الرفاق يحاولون إعطاء الرأي ، أو فتح نقاش حول

و هذا الفهم صحيح إذا اعتمد على الوحدة المبنية على الصراع الإيديولوجي و السياسي. في هذه العلاقات الداخلية مارست عمليا دور المقرر ، القيادة بشكل عام ، و دور المنفذ ، الباقون من إطارات المنظمة³¹. كيف يمكن تثوير هذه العلاقات التي لنا وعي بخطئها ، من خلال عملية ارتباطنا الوثيق بال جماهير ، و كيف كنا نسير في اتجاه بناء خط سياسي جماهيري ؟ إن داخل المنظمة كانت تسود نظرة مثالية لا جدلية للوحدة السياسية و الإيديولوجية ، وحدة بدون تناقض. و هذه الوحدة كانت تجد تبريرها النظري في نموذج الحزب ذو الفكر الوحيد الذي كانت تمرره الأممية الثالثة³². إن الأساس الموضوعي لهذه النظرة المثالية هي التي تجعل المثقف البورجوازي الصغير يضع الفكر فوق الواقع الملموس الذي لا يمكن تلمسه إلا انطلاقا من الممارسة النضالية وسط الجماهير. إن هذه النظرة التي تجعل الفكر متفوقا على الممارسة ، و بالتالي سمو التنظيم على الجماهير ، و داخل المنظمة سمو أو تفوق القيادة على القواعد. و لقد كان هذا صحيحا بالنسبة للعديد من قياديين أو مناضلين قاعديين.

هل كنا ننظمنا شبكيا نخويا ؟ كما جاء في الاستشهاد الذي انطلقنا منه في هذه النقطة. في مارس 1973 انتقد التنظيم بشدة حركة البلانكيين في نص "الوضع الراهن و المهام العاجلة للحملم"³³ لأنها حركة اعتمدت الشبكية و لم تعتمد على الجماهير في توجيهها السياسي و الإيديولوجي و العملي. و ليس معنى هذا أننا من الناحية العملية كنا قد تجذرنا وسط الجماهير عموما ، بل إن النتائج العملية التي وصلنا إليها في هذه التجربة ، من بينها في تقييمي الخاص ، أن المنظمة كانت تنحى منحى منظمة شبكية. فالمسألة التنظيمية كتجسيد لتوجهات سياسية ، أدت في شروط القمع و اشتداده إلى تزايد عدد المناضلين الذين يدخلون في السرية و ممارسة نوع خاطئ من الفهم للاحتراق الثوري. حيث أصبح من الناحية العملية كل من يدخل السرية يبتعد بالتدرج عن عمله المباشر وسط القطاعات التي كان يعمل بها (عمالية أو فلاحية أو شبيبية)³⁴.

و لقد عمق هذا الابتعاد عن الجماهير أخطاء الهيكلية التنظيمية ، و قد يكشف تقييم التجربة عن جزئية أو شمولية هذه الخلاصة مستقبلا ، لكن الممارسة التي عاشها العديد من المناضلين تصل إلى أن المنظمة كانت تنتفخ بعدد من "المحترفين" الذين ألجأهم القمع إلى ذلك ، و يبتعد المناضل بالتدرج عن الجماهير.

هل كانت سيرورة المنظمة ستقبل هذا الوضع ؟ إن الجواب سيكون رهينا بمدى وعي المنظمة بخطأ التوجه الذي حدد تلك الهيكلية من خلال الممارسة داخل الجماهير ، و هذا ما لم يتوفر و بالتقدير الكافي في تجربة المنظمة.

هل كانت لنا علاقات فوقية مع الجماهير ؟ بشكل عام جدا و فضفاض نقول نعم. في تعاملنا و تعامل الحركة الماركسية-اللينينية المغربية مع جماهير الشبيبية المدرسية ، كان هذا واضحا بالنسبة ل "إلى الأمام" و " 23 مارس " ، فدعوتنا الفوقية لبناء " النقابة الوطنية للتلاميذ" و قيادتها التي كانت كلها من أطر هذه التنظيمات مثال ساطع³⁵.

قضايا مختلفة كلها سنحت الظروف لذلك ، إلا أن الكتابة الوطنية ، هي من كان يقوم بخنق تلك الأفكار و الآراء ، و الشواهد التاريخية على ذلك متوفرة. 31. كانت الكتابة الوطنية تقوم بالتمييز بين الرفاق والأطر حسب ولائهم لها أو معارضتهم ، مما جعل العديد من الرفاق يعانون من التهميش ، مع أنهم كانوا أطرا مجربة و كفأة ، و ذات رصيد نضالي مهم.

32. إن هذا الادعاء ، و بدون تمييز ، يجعل من الأممية الثالثة مسؤولة عن نشر هذا التصور البيروقراطي للعلاقات التنظيمية ، علما أن القيادة اللينينية للأممية الثالثة لم تميز بمثل هذا الرأي ، هذا على الأقل ...

33. سبق لموقع "30 غشت" أن نشر هذه الوثيقة (انظر "الوثائق الأساسية لمنظمة "إلى الأمام" " ، الخط الثوري ، الجزء الأول).

34. لم يتطور هذا الاتجاه إلا بعد فترة يناير 1975 - مارس 1976 ، و ذلك في ظروف سياسية و تنظيمية مرت بها المنظمة ، و تحمل مسؤوليتها آنذاك جزء ممن سمو أنفسهم بالحركة النقدية الجينية ، الذين وقعوا على بيان يونيو 1979 ، و من بينهم المشتري بلعباس و عبد الله المنصوري.

35. لقد سبق أن تطرقنا لتجربة النقابة الوطنية للتلاميذ ، و جزء من هذه التجربة يدحض هذا الطرح.

و لكن هل في عملنا داخل الأحياء و داخل الطبقة العاملة و الفلاحين كانت هذه العلاقات فوقية ؟ لا نعتقد ذلك بحكم التجربة المتناقضة و المتنوعة لنا في هذه القطاعات. هل كانت العلاقات النخبوية و الشبكية و الفوقية نتيجة للتوجهات السياسية و الإيديولوجية ؟ نقول هنا لقد أصبح الوعي حادا بخطا التوجهات السياسية التي سار عليها التنظيم ، أو على الأقل مراجعة العديد من جوانبها و طروحاتها.

هل هذه التوجهات السياسية حددت " مشاريع ثورية ذاتية و جاهزة تبلورت خارج حركة البروليتاريا المغربية و حركة الجماهير ذات المصلحة الأساسية في الثورة..." كما يرى أصحاب التوضيح ؟

نتساءل في البداية ، ما هي هذه المشاريع الثورية و الجاهزة ؟ هل مقولة بناء الحزب البروليتاري المغربي مقولة قبلية جاهزة تفرض قسرا على البروليتاريا المغربية ؟ هل تحديد " العنف الثوري " فرض قسري على البروليتاريا ؟ هل بناء التحالف العمالي - الفلاحي مشروع ثوري ذاتي و جاهز؟³⁶ هي جاهزة في نظر التوضيح و ذاتية لأنها تبلورت خارج حركة البروليتاريا المغربية. رغم العلم بأنها إحدى الدروس الأساسية في نجاحات البلاشفة و الثورة الصينية.

و إذا كانت الأطروحات النظرية استراتيجية كانت أم تكتيكية ، مبادئ ماركسية- لينينية أو إسهامات ثوريين مثل ماو ، تعد في نظر أصحاب التوضيح مشروعا ثوريا جاهزا و ذاتيا . نحن نقول: إن البروليتاريا كطبقة ثورية لا يمكن لنضالها الاقتصادي العفوي أن يتحول إلى نضال طبقة تدرك مصالحها كطبقة ، مصالحها المعادية و المناهضة لطبقة مستغليها إلا بامتلاكها لسلاح التنظيم و سلاح النظرية الثورية ، إن تحررها من الاستعباد و القهر و تحرير المجتمع معها و الإنسانية ، لن يتم بتكسير الآلات و الإضرابات الطويلة النفس. إن هذا لوحده لا يكفي أبدا ولم يكن ليكفي ، ضرورة تجذر الإيديولوجية الثورية داخل البروليتاريا و عن طريق المثقفين الثوريين و تنظيماتهم المندمجة بها اندماجا لا يقبل الانفصام ، و عن طريق طلائع هذه البروليتاريا أمر حيوي ، و من ينتقص من ذلك لن يخدم البروليتاريا.

إنني لا أتفق مع هذا المفهوم الذي أعطاه رفاقنا أصحاب التوضيح للمثقف الثوري. فهو لكي لا يكون بديلا عن البروليتاريا عليه أن لا يحمل أي مشروع لبناء الحزب البروليتاري ، عليه ألا يفكر و يمارس أو يتمرس على العلاقات الداخلية التي ينبغي أن تحكم العاملين في حزب البروليتاريا مستقبلا ، عليه ألا يمارس المركزية الديمقراطية و ألا يطالب بالانضمام إليها ، عليه في الأخير أن يتعد عن كل قالب تنظيمي ما دام هذا المثقف الثوري ليس في حزب البروليتاريا الذي لم يولد بعد ، و لكي يمارس ذلك ، عليه أن ينتظر ما دام الحزب لم يولد بعد.

إن فهمنا للتجربة السابقة لا يصح أن يولد عندنا رد فعل على عدم إمكانية التجذر من داخل تنظيمات ماركسية- لينينية. فرفاقنا ينتقدون العلاقات الداخلية في صفوف المنظمة و بين هذه الأخيرة و الجماهير ، لينكروا فيما بعد أهمية المبادئ الماركسية - اللينينية التي تحكم التناقضات الداخلية ، و يضربون عرض الحائط كل رصيد المنظمة و التجربة الثورية للحركة العمالية العالمية.

إن خلافنا مع هذه النظرة عميق جدا ، فهو خلاف جوهري حول تحديد المهمة الآنية المطروحة على المنظمة و الثوريين الماركسيين - اللينينيين عموما ، هو خلاف حول هل يمكن بناء منظمة ماركسية لينينية تتجذر داخل الطبقة العاملة و الفلاحين و بقية الجماهير ، أو حل التنظيمات و الارتقاء في أحضان البروليتاريا لتبني هي حزبها مباشرة. إن هذا

36 . يتعلق الأمر هنا بخلط بين الحقائق العامة للنظرية الماركسية - اللينينية ، و بين النظرية الثورية الملموسة ، التي تساهم النظرية الماركسية - اللينينية في بلورتها ، و يدخل في هذا السياق ، العمل من أجل بلورة وعي سياسي طبقي ملموس للبروليتاريا ، في بلد محدد و في مرحلة محددة ، باختصار ، بلورة نظرية للثورة في هذا البلد.

الفهم يجعلنا ننحني بإجلال أمام عفوية النضال العمالي من غير أن نفهم بأن هذا المد العفوي "يتطلب وعيا عاليا من العمل السري و السياسي و التنظيمي " كما قال لينين في "ما العمل؟"
إن الأسس التي اعتمد عليها رفاقنا في سحب الدور الذي يمكن أن تلعبه التنظيمات الثورية الماركسية – اللينينية الحقيقية في تجذير الوعي البروليتاري و تمرسها و بلورتها هي الأخرى داخل هذه العملية من الاندماج و الارتباط و الممارسة النضالية ، و اعتبار التنظيمات فقط بورجوازية صغيرة و لا يمكن أن تعيد لإنتاج تجربتها. إن هذا الفهم قاد رفاقنا إلى نظرة تصفوية لتجربة المنظمة و الحركة ، و إلى تقديس العفوية العمالية في النهاية و سيفصح التوضيح عن نفسه أكثر فيما بعد .

IV لنحارب كل الانحرافات داخل المنظمة و الحركة الثورية عموما

يستمر التوضيح كاشفا جذوره الإيديولوجية أكثر عندما يتعرض في جزء منه إلى نقد بيان يونيو الذي يصف المنظمة و خطها بكونه "انتهازي يساري".

يقول التوضيح: "إن تحديد الانتهازيتين (اليمينية) و (اليسارية) داخل الحركة العمالية يعتمد على مقياس الخط البروليتاري الشيء الذي يناقض بالنسبة لبيان يونيو إمكانية وجود خط بروليتاري داخل الحمل ، أو على الأقل إن تبلور هذا الخط البروليتاري داخل صفوف الحمل ممكن على قاعدة دحر الإنتهازيتين... أما نحن فنرى بأنه ليس بإمكان أية حركة سياسية مهما كانت نظرياتها أو برامجها ثورية ، أن تبلور خطا بروليتاريا خارج صفوف الحركة العمالية و طليعتها ، و هذا لا يعني بأنه يكفي لهذه الحركة أن تجد لها امتدادات في صفوف الحركة العمالية لكي تتمكن من ذلك ، و لكنه يعني أن الخط البروليتاري تبلوره طليعة البروليتاريا نفسها و مثقفوها العضويون..."

أدرجنا هذا الاستشهاد رغم طوله ، لأن أصحاب التوضيح ينكرون على التنظيمات الماركسية- اللينينية المغربية ، و خصوصا "إلى الأمام" إمكانية بلورة خط بروليتاري ، و من تم لا مجال لأي تحديد سياسي من صنف الانتهازية اليمينية أو الانتهازية اليسارية من جهة ، ولأن الصراع الحالي داخل المنظمة و الحمل هو لمواجهة هذين الصنفين من الانتهازية من جهة أخرى.

و نحن نرد على هذا ، مسجلين منذ البداية بأن أصحابنا على حق عندما يقولون بأن أية حركة سياسية مهما كانت برامجها الثورية و نظرياتها ليس بإمكانها أن تبلور حقا خطا بروليتاريا بمعزل عن حركة واقع البروليتاريا و مساهمتها في بنائه ، و التحام هذه الحركة بها و بنضالاتها و ارتكازها على نظرية ثورية حقة: نظرية البروليتاريا : الماركسية – اللينينية. إن كسب خط بروليتاري هو مسيرة أعوام ، مسيرة طويلة و شاقة و معقدة تعقد الصراع الطبقي نفسه ، و تعقد عملية المعرفة نفسها ، و تعقد العلاقة الجدلية القائمة بين النظرية و الممارسة.

إن جزم رفاقنا بأن حركة المثقفين (و المقصود بها الحمل) ليس من مهمتها بلورة خط بروليتاري ، مسألة في نظري غير صحيحة ، فالبلورة لا تعني قط أن الشيء جاهز ، إن البلورة هي عملية يتفاعل فيها ما هو ملموس بما هو نظري تفاعلا جدليا يؤدي إلى الوصول إلى نتيجة ما. هذا هو معنى البلورة ، فإذا كان رفاقنا يعنون بالبلورة الفكر القبلي الجاهز ، و يجتهدون بكل تفكيرهم البيزنطي لإعجاز الحمل ، فإني أقول أن الخط هو مسيرة ، و بلورته عملية تتجاوب فيها الممارسة و النظرية ، فهم الواقع بهدف التحكم فيه و تغييره. فنحن نكون على خلاف إذن.

إن رفاقنا يأسين تماما من الحمل ، بل و مجندين لمحاربتها. فالحمل في منطقتهم ، لا دور لها من غير التبعية للطبقة

العاملة طريقا ، باعتبار هذه الأخيرة هي مصدر المعرفة اليقينية الصحيحة ، و لأنها "بروليتاريا" فهي لوحدها القادرة على بلورة خط بروليتاري.

ما هو إذن دور هؤلاء المثقفين العضويين الذين تنتهي بهم الفقرة المستشهد بها ، إذا لم تكن عملية البلورة يشكلون طرفا مهما فيها في البداية ، قبل تجذر الوعي البروليتاري. إن التوضيح يجعل هذا الارتباط العضوي مجرد عملية تدخل ضمن المساعدة التقنية ، و إن المنظمة حين تقول بإعادة بناء منظمة صلبة و راسخة جماهيريا ، فإنها تعني منظمة ليست لها مهمة تقنية ، بل تقوم بعملها الثوري انطلاقا من اختيار طبقي هو البروليتاريا. إن الإقصاء العملي للمثقفين الثوريين و تنظيماتهم الماركسية-اللينينية من مهمة بلورة خط البروليتاريا ينطلق من وجهة نظر التوضيح ، من أن نضال الطبقة العاملة الاقتصادية سيوصلها إلى النضال السياسي عبر دينامية هذا النضال المستقلة. و هذا هو ما يطلق عليه "الاقتصادية" و التي تعتمد على قاعدة أن الوعي هو انعكاس ميكانيكي للواقع ، و تلكم هي القاعدة النظرية التي يركز عليها في الجوهر هذا التوضيح الذي ناقشه.

بالنسبة لي ، أعتبر بأن هناك انتهازية يسارية و يمينية ، انطلاقا من أن القاعدة الاجتماعية للحلم (البورجوازية الصغيرة) لا يمكنها أن تلعب دور المحرك للصراع الطبقي ، رغم أن هذه الحلم هي موضوعا ثورية ، لكنها تتأثر بشكل خاص بمختلف الإيديولوجيات البورجوازية و البورجوازية الصغيرة و انتهازياتها ، و أساسا اليمينية ، خاصة في فترات القمع المكثف و جزر الحركة الجماهيرية (مثال الخط الداخلي و بناء الأطر في السلم الذي نظرت له " 23 مارس "37 خلال و بعد حملة الإرهاب و القمع التي تعرضت لها حركة 3 مارس³⁸).

و في نفس الوقت فإن هذه الانزلاقات اليمينية تحكم على هذه التنظيمات بالتفكك السريع لقاعدتها الاجتماعية ، و نظرا لطبيعتها الثورية موضوعيا ، فإن قادتها سرعان ما يجدون المخرج باحترافهم السياسة ، و بشكل ينظر للتبعية للقوى الإصلاحية.

أما الانزلاق الإنتهازي اليساري ، كالذي عرفه جزء من خط المنظمة و ممارستها و في فترات متفاوتة ، و بحكم تناقض هذا الخط ، فإنه يسد الباب (أي هذا الانزلاق) أمام أي عمل جدي للتجذر في الطبقة العاملة (مثال تسخير كل طاقات المنظمة في 1975 إلى مجابهة الدعاية الشوفينية — و إن كان هذا أمرا ضروريا- بدعاية فوقية و إغراق المدن بالمنشورات ، في حين لم تقم المنظمة بالوقوف عند أكبر ضربة وجهها لها العدو في 1974 و بداية 1975³⁹. كان هذا العمل مجرد هروب إلى الأمام بدل العمل على إرساء الجذور داخل الطبقات الأساسية.

يقول التوضيح: "إن مهمة البناء و إعادة البناء التي وردت في بيان يونيه بشكل غامض ، و التي تطرحها اليوم أغلب اتجاهات الحلم تحت صيغ متعددة ، لا تشكل في نهاية المطاف إلا عملية محافظة على الأرضية الطبقيّة البورجوازية الصغيرة للحلم ، و يستحيل على حركة تقوم على بنية سياسية و إيديولوجية و تنظيمية بورجوازية صغيرة أن تعمل على بناء حزب البروليتاريا. و لهذا فإن المهمة الأساسية الملقاة على عاتق المناضلين الثوريين الذين يطمحون للمساهمة في

37. انظر وثيقة "الوضع الراهن و المهام العاجلة للحركة الماركسية — اللينينية" أبريل 1973 ، سبق نشرها في كتاب "الوثائق الأساسية للمنظمة الماركسية — اللينينية المغربية "إلى الأمام" ، الخط الثوري ، الجزء الأول.

38. يتعلق الأمر هنا بالحركة الثورية التي أطلقها الجناح الثوري داخل الاتحاد الوطني للقوات الشعبية ، وهي الحركة التي عرفت باتجاه الفقيه البصري ، و تعرضت على إثرها المجموعات المسلحة إلى التصفية الجسدية ، بينما تعرض جزء من قاداتها للإعدام.

39. كان يشرف على قيادة منظمة "إلى الأمام" في هذه الفترة مجموعة من وضعوا بيان يونيو 1979 ، و من بينهم المشتري بلعباس و عبد الله المنصوري و غيرهم.

بناء حزب البرولتاريا إلى جانب الطليعة البروليتارية ، هي الإندماج النضالي العملي و العضوي بحركة الطبقة العاملة خاصة ، و حركة الجماهير ذات المصلحة الأساسية في الثورة عامة. وهذا الاندماج (يستلزم التخلي عن كافة الهياكل التي تقف حاجزا ما بين هؤلاء المناضلين و بين حركة الطبقة العاملة). (التشديد من عندي)

إن أصحاب التوضيح يتجاوزون ما سبق أن طرح في بيان يونيو 1979 فيما يتعلق بإعادة البناء ، و يطرحون الآن فهما محددًا. فإن إعادة البناء غير مطروحة كمهمة رئيسية في الظرف الراهن ، لأن هذا لا يعني غير إعادة إنتاج التجربة داخل قطاع بورجوازي صغير هو الشبيبة المدرسية.

المنظمة ترى في الظرف الراهن مهمة إعادة البناء ، في الوقت الذي يرى فيه أصحاب التوضيح أن مهمة الثوريين ، أن لا يخلقوا بينهم و بين البروليتاريا حواجز بناء أو إعادة بناء تنظيماتهم.

إنه خلاف عميق حقا ، ألا توافقوني على ذلك ؟ لماذا تطرح المنظمة مهمة إعادة البناء ؟

إذا انطلقنا ككل الثوريين حقا ، في تحليلنا لدور البروليتاريا التي نعتبر انتصارها حتمية تاريخية انطلاقا من مميزاتها التي تعرضنا لها في هذا الرد ، فإننا نجد واقعها المادي يدفعها لجملة من النضالات ، هي في حقيقتها وعي جنيني و حسي بوعيها الطبقي ، هو تعبير عن معرفتها الحسية. هذه المعرفة التي لن ترقى إلى الإدراك العقلي إلا مع تجذر الوعي الثوري داخلها و ما يفرض ذلك من عمل للثوريين . إن هذا الوعي الحسي هو في حقيقته رفض للواقع ، و اقع الاستغلال و الفقر و الاضطهاد ، بعفوية كذلك ، لأن واقع البروليتاريا المزري يشعرها باستمرار بالظلم ، يجعل عددا من العمال مستعدين للنضال رفضا لهذا الظلم ، و هذا الاستغلال ، إن عدد هؤلاء العمال يتعاظم باستمرار ، لكنهم لا يدركون أن هذا الاستغلال و هذا الاضطهاد يخترق مجتمعا بكل طبقاته الوطنية ، و بأنه في يوم ما لا يستطيع المرء تجرع مرارة هذا القهر ، و لا يدرك بأن انعتاقه من هذا الوضع صعب ، و بأن أعداءه هم كذلك "يناضلون" (إن صح التعبير) بكل الوسائل السياسية و الإيديولوجية و التنظيمية و القمعية للإبقاء على هذا الوضع ، و لا يدركون من خلال نضالهم العفوي و الاقتصادي ضرورة العمل المنظم إلا في حدود "الوحدة" العمالية لإنجاح الإضراب أو تكسير آلة ، إنهم لا يدركون بالضبط بأن هذا التنظيم الذي يحسون نجاعته عند الضرورة ، و بين الحين و الحين ، هو ما ينبغي الوعي به ، و عيا يرقون به من مستوى الاصطدام مع رب المعمل إلى الحقد المنظم على طبقتهم بأسرها ، يرقون إلى مستوى الربط بين نضالهم — الذي يعمل رب المعمل على تكسيه و حينما يعجز تتدخل قوات القمع لحمايته و حماية ممتلكاته ، يطلقون الرصاص إذا "اقتضى" الحال ذلك — سيرقون إلى هذا الربط بين رب المعمل و طبقتهم و الدولة القمعية. إن هؤلاء العمال لا يدركون أهمية عمل منظم يجمع و يستوعب طاقاتهم النضالية المتزايدة لهم و لكل العمال ، ليصير نضالهم نضال طبقة.

إننا نشاهد اليوم و كل يوم هذا الزخم من السخط الجماهيري العارم و لكنه صامت. إنه يعطينا القدرة على التفاؤل و على العمل الجاد الدؤوب ، و لكن الخيبة تصيبنا عند الفشالات كما حال أصحابنا ، فهم لم يفهموا أن العمل المنظم — عمل منظمة ثورية ، عمل منظمة في السرية و تحت الملاحظات البوليسية اليومية — هو عمل أضمن من ذلك الحل الذي وجدوه بكلمة "التنظيمات تعرقل الوصول إلى الطبقة العاملة" ، فلقد فوجئوا بهذا التصاعد لحركة عمالية لا محيد لها عن النضال ، انبهروا أمام تحركاتها العفوية أو المنظمة إلى حدود في إطارات نقابية بورجوازية و إصلاحية ، انبهروا لأن العمل السري لمنظمة سرية لا يمكنه أن يصل حد السخط العام الجماهيري الواسع ، لأن الأول متقلص يعمل لأجل تنظيم هذا السخط و بتكتم ضروري تفرضه الظروف القائمة ، تنظيم لأجل تجذير أبعاد هذا السخط ، و العمل الثاني هو عمل علني سهل لأنه نضال نقابي أو إضراب أو تحرك عام. فالأول قياسا إلى الثاني يبدو متقدما لكنه يعتمد على الكيف و عدم قدرة

منظمة ثورية على احتواء السخط الجماهيري كمنظمتنا مثلا، يجد تفسيره المادي في واقع احتداد الصراع الطبقي ، فحركة عمالية هي أصلا سابقة لعمل سياسي منظم و ثوري داخل هذه الحركة العمالية. إن عدم توازن كهذا لا ينبغي تجاوزه بإلغاء التنظيمات الثورية من أجل الدخول في حركة السخط العام و العفوي و مسايرته ، بل ينبغي تجاوزه بعمل دؤوب و شاق و منظم و هادف.

إن هذه المنظمة السرية المشكلة من المحترفين الثوريين المنظمين ، و التي تريد بحزم إعادة بناء نفسها في شروط بلادنا ، يفترض أن يتربى فيها مناضلون ثوريون ليس بالكتب الكلاسيكية أو الإسهامات التي قدمها الثوريون فقط ، بل في الانصهار بنضال الطبقة العاملة حتى يتصلبوا حقا و حتى يصير الجيش الصغير و المنظم قادرا على تنظيم معمل بأكمله. إن مثل هذه المنظمة في شروط بلادنا تكون أصعب على الاصطياد البوليسي و لا ينبغي أن نجزع من الأخطاء السابقة و اصطياد البوليس لنا. علينا أن نجعل من الفشل و أسبابه دروسا للنجاح مستقبلا. إن وجود هذا التنظيم يقوي الثقة و العزم و يشجع على خوض النضال و الكفاح بقوة من أجل بناء الحزب ، و تعميق هذا الإيمان من خلال التجذر الواسع وسط الجماهير العمالية و الفلاحية أساسا.

إن مثل هذه المنظمة تتربى من خلال تنظيمها للجماهير ، و من خلال الممارسة ، و باندماجها مع طلائعها و تشييد الأنوية الأولى للحزب. إن منظمة من المحترفين الثوريين يكون بإمكانها أن تتقن أساليب العمل السري و أساليب العمل العلني ، القادرة أن تشيع الثقة بقوتها و صلابتها و الحزم في إنجاز مهماتها في صفوف مناضليها و الجماهير ، و كذلك حتى في حلفاء البروليتاريا الاستراتيجيين و التكتيكيين. إن هذه المنظمة هي التي ينبغي أن نعمل على بنائها على طريق بناء الحزب الشيوعي المغربي بجانب كل الثوريين المغاربة ، و باندماج واسع و عميق مع طلائع البروليتاريا أساسا.

إن دور منظمتنا ليس نابعا من رغبة ذاتية لمتقنين ينزلون رسلا على البروليتاريا يعطونها طريق الخلاص ، بل إنه نابع من اختيار لموقف و موقع طبقي أول ما يفترض هو أن يكون كل منا ضل في هذه المنظمة مبلترا أو أن يجعل التبلتر مهمة ضرورية من خلال الممارسة.

إن دور المنظمة هو تقديم العمال الطليعيين بدرجة أولى للوقوف على خط واحد مع المثقفين الثوريين من وجهة نظر حزبية ، لأن هذه المنظمة تضع نصب أعينها و بصورة رئيسية رفع العمال إلى مستوى البروليتاريين الثوريين و ليس "الهبوط" إلى مستوى الوعي المتدني لجماهير العمال كما يريد لنا أصحابنا.

إن أصحاب التوضيح لا يوافقون طبعا على كل هذا ، و يجعلون من فهمهم لطريق بناء الحزب البروليتاري لن يمر عبر هذه الضرورة التي نسميها: إعادة بناء منظمة ماركسية- لينينية صلبة و راسخة جماهيريا. إنهم يتخلون عن إحدى الدروس الأساسية في الثورة الروسية حيث لم يتشكل الحزب إلا بعد عمل دام ما يقرب من عشر سنوات. انظروا ما يسجله بتلهام في كتابه: "الصراعات الطباقية في الاتحاد السوفياتي" ص 94 "إن الدور الذي لعبه الحزب البلشفي في 1917 لا يجب أن ينسبنا أن هذا الحزب لم يتواجد إلا بعد خمس سنوات ، لأنه ولد في ندوة براغ بين 3 و 7 من شهر يناير 1912. إن هذه الندوة قد مكنت من ولادة حزب لم يكن هو التجميع البسيط لبعض المناضلين أو بعض المثقفين الثوريين ، لأن تأسيس هذا الحزب قد سبقته أكثر من 10 أعوام من النشاط النظري و التنظيمي..."

إن أصحاب التوضيح يضربون بهذا الدرس الذي هو ملك للتجربة البروليتارية في كل مكان. و لكن لنستمر في مقارعة آراء أصحاب التوضيح. في جزء آخر يقول التوضيح:

"لذلك فإن بناء منظمة ما ، لا يمكن أن يتم باعتبارها تنظيما بروليتاريا تحكمه العلاقات البروليتارية ، ما دام موقع

هؤلاء لا يتجاوز حدود مثقفين ثوريين يسترشدون بالماركسية-اللينينية و يمارسون على قاعدتها وسط الحركة العمالية ، و ما دامت الشروط التاريخية لم تنهياً بعد لهذه العملية التي تنجزها العناصر البروليتارية الطليعية والواعية في صفوف الحركة العمالية..."

و في هذه الفقرة يسقط أصحاب التوضيح في تناقض طالما تحاشوه من قبل في "تقدمهم" لإعادة البناء. فهم يعتبرون بأن إنجاز عملية إعادة البناء لمنظمة بروليتارية من مهام طلائع البروليتاريا الواعية في صفوف الحركة العمالية ، و التي يمكن أن تساهم فيها عناصر مثقفة مسترشدة بالماركسية-اللينينية التي استطاعت أن تتحول إلى عناصر بروليتارية من خلال عملية الاندماج...". نتساءل ماذا يعني هذا؟ هل هو تأخير لعملية بناء هذه المنظمة حتى يتم الاندماج؟ هل يعني أن أصحاب التوضيح يخافون من المثقفين البرجوازيين الصغار في مقابل وضع كامل الثقة —- العناصر الطليعية الواعية من البروليتاريا !! إنهم ينكرون لفظياً أهمية التنظيم ، و لا يخرجون عن ضرورته لكن بمنظور خاص. و لنا أن نتساءل عن أي "منظمة" يريدون ، هل تلك المنظمة للمحترفين الثوريين حقا؟ طبعاً سندعمهم يفصحون عن أنفسهم و عن مبادئهم التي ليست هي المركزية الديمقراطية.

يقول التوضيح: "لا يعني بالنسبة لنا نفي العمل المنظم ، و لكن العلاقات السياسية التي تقام بين المناضلين الثوريين يجب أن تحدد من خلال عنصرين هما:

- النقاش والتعاون الذي تفرضه شروط النضال السياسي الثوري وسط الحركة العمالية و حركة الجماهير في مواجهة العدو.

- تطوير الوعي السياسي الذي يفترض خلق الأدوات و الأساليب المختلفة للصراع السياسي و الإيديولوجي بين هؤلاء الثوريين و تبادل الدروس و التجارب بارتباط عضوي مع الحركة النضالية للجماهير ذات المصلحة الأساسية في الثورة. "إن هذه الطاقات السياسية قائمة على قاعدة الممارسة الثورية الملموسة وسط الجماهير العمالية من جهة ، و على قاعدة الديمقراطية الثورية من جهة أخرى..."

إن أصحاب التوضيح يستعوضون في هذا العمل المنظم الذي لا ينكرونه عملياً عن المبادئ الحازمة اللينينية في ميدان التنظيم بالتضامن و التعاون الذي "تفرضه ضرورات النضال السياسي الثوري". ماذا يعني هذا بالملهموس؟ أي تضامن هذا يمكن أن يرتكز على أسس إنسانية صرفة من نوع التآزر؟ و ما هذه الضرورات السياسية الثورية؟ هل في الاحتراف؟ هل في العمل السري؟ ما هي أساليب تطوير الوعي السياسي للطبقة العاملة؟ هل هي الجريدة؟ أو على الأقل إحدى الوسائل الممكنة...من ضمن سير جريدة نعرف أن نجاحها مرهون بكونها جريدة مركزية صادرة عن تنظيم له أسسه و مبادئه و أجهزته السياسية و التقنية؟ ما عسى أن يكون توجه هذه الجريدة مثلاً هل هو نوايا هؤلاء المناضلين البروليتاريين أو هو بالضبط ذلك "التنظيم" الذي يريد أصحابنا خلقه.؟

أيضاً هذا الصراع السياسي و الإيديولوجي الذي يتحدثون عن وقوعه ما عسى يكون فحواه بين هؤلاء الثوريين؟ هل تبادل التجارب؟ لقد مرت الحلم في تجربتها بتبادل التجارب في كل القطاعات التي تواجدت فيها تنظيماتها ، و لكي نتبادل التجارب يجب أن نستفيد منها أكبر عدد ممكن ، كيف يمكن تنظيم هذه العملية؟ يجيب رفاقنا إذا نحن سألناهم عن كل هذا ، بأن العمل المنظم له قواعد: قاعدتين بالضبط:

- قاعدة الممارسة الثورية الملموسة.

- قاعدة الديمقراطية الثورية.

أي مقياس يحدد "الممارسة الثورية الملموسة"؟ بالنسبة لي ، إن الممارسة الثورية هي تجسيد لتصور ثوري ، هي إغناء له باستمرار هي عملية تعني النظرية الثورية. بالنسبة لأصحابنا الذين يجعلون من المثقف الثوري إنسانا ينزل إلى الطبقة العاملة للاندماج بها ، ما هو مقياس الثورية لهذا المثقف الذي نخلع عنه صفة "الثورية" ، ما دام أصحابنا يقولون بأنه لا يصح النزول إلى الطبقة العاملة بأفكار جاهزة و قبلية؟!

القاعدة الثانية: "الديموقراطية الثورية" عن أي ديموقراطية ثورية نتحدث؟ نسجل منذ البدء أنه لا ديموقراطية ثورية فعلية بدون مركزية. و مادام أصحابنا ينفون المبادئ التنظيمية اللينينية بحكم عدم توفر حزب البروليتاريا ، فماذا يبقى إذن ، نقول لهم بكلمة غير مخادعة: تبقى كلمة (الديموقراطية) بدون صفة "الثورية".

إن الديموقراطية ضرورة من ضرورات العلاقات الداخلية ، بل هي شرط حيوي لتجسيد وحدة متقدمة في المنظمة ، و لكنها ديموقراطية مرتبطة دوما بممارسة صحيحة للمركزية. نعم لديموقراطية مبنية على مركزية للأراء السديدة ، نعم لهذا المبدأ: "المركزية الديموقراطية" و ينبغي أن نحترم دوما طرفيه المتناقضين.

إن أصحابنا ينكرون هذا المبدأ كما حللنا ذلك من قبل. إذن فلا نغالط أنفسنا ، إنهم يدعون ببساطة إلى "ديموقراطية" التي تعني النقاش الواسع و الموسع و الذي لا يمكن أن يخلص إلى أي نتيجة.

هل يمكن تحقيق هذا المبدأ: "الديموقراطية"؟ في اعتقادي نعم إذا توفرت الشروط التالية:

الشرط الأول: العلنية ، لأن ديموقراطية تعني النقاش المفتوح الذي لا يعلم أحد متى يقفل بابه في غياب أداة منظمة ينكرها أصحاب التوضيح و يدعون لحلها.

ماذا تفترض العلنية؟ عملا شرعيا بلا شك.

هل يفكر أصحابنا في هذه "الديموقراطية" خاصة في ظروف بلادنا ، اللهم إذا حصرنا عملهم الثوري داخل النقابات الحالية ، أو حشروا أنفسهم في نقاشات الصالونات ، لأن عملا سياسيا ثوريا يعرفون ربما أن النظام يناهضه ، فكيف يسمح هذا النظام لمناضلين ثوريين بالتحرك علانية و في نيتهم بناء حزب طبقي يشكل عدوه المباشر. نظن أن الأمر لا يحتاج إلى تعليق.

الشرط الثاني: الديموقراطية تفترض أصلا ، كمبدأ بورجوازي ، مسألة الانتخاب ، نتساءل من سينتخب من و لماذا؟ كيف يكون هذا في ظروف المحاصرة الدائمة للطبقة العاملة.

لا نريد أن نذهب في النتائج المنطقية لطرح هاتين القاعدتين فقد نصل إلى "ما لا تحمد عقباه" النظرية و العملية ، لكننا نسجل بأن هذا النوع الذي يريده أصحابنا من المنظمات لن يكون غير "مجمع للحكماء" يرفض المبادئ الفعلية لنجاحات البروليتاريا يجردها من أسلحتها الناجعة و أهمية التدريب عليها و ممارستها ، لهزم أعدائها و قيادة نفسها و المجتمع. إن ضرورة منظمة ماركسية-لينينية ينبغي عليها لكي تحقق شعار "صلبة و راسخة جماهيريا" أن تتمرس من خلال النضال و الاندماج بالبروليتاريا و بطلائعها المتقدمة و الواعية لبناء "أنوية" أولى لحزب البروليتاريا المغربي.

و خلاصة نقول: إن أصحاب التوضيح حينما يعتبرون بأن إعادة بناء المنظمة ، أو أي منظمة أخرى في صفوف الحمل ، هي عملية غير مطروحة لأنها تعرقل تقدم وعي البروليتاريا ، و المطروح بالتالي على كل المناضلين الثوريين هو حل هذه التنظيمات و النزول إلى الطبقة العاملة للاندماج في طلائعها ، حينما يقولون هذا يتناقضون عندما يطرحون مجموعة "مبادئ" خاصة تنظم هذا العمل. و هم بذلك على مستوى التنظيم يقدمون مفاهيم غريبة عن الماركسية-اللينينية ، مفاهيم تجسد الفوضوية في ميدان العلاقات. إن هذا الفهم لن يعمل إلا على تقديم البروليتاريا هدية إلى أعدائها

الطبقيين في نهاية المطاف ، مهما كثر الحديث عن الحزب البروليتاريي.
إن الرؤية لتكتمل لدينا:

- تقديس العفوية العمالية و الركوع أمامها باندهاش.

- اعتبار البروليتاريا ستبني حزبها لوحدها و هي قادرة على ذلك.

- لا ضرورة للمبادئ اللينينية في التنظيم ما دام الحزب لم يوجد.

تلكم هي خصائص تلك النظرة التي عملنا على نقدها في النقط المعالجة في هذا الرد. و إننا لنواجه خطر هذه الطروحات في صفوف الحركة العمالية المغربية ، خطر الفوضوية و العفوية و الاقتصادية. علينا أن نحارب هذه المفاهيم التي تجد أرضيتها الخصبة في واقع التفكك و ضعف القوى الثورية المغربية عموما في وقت تتقدم فيه نضالية الطبقة العاملة على رأس نضال مجموع الشعب و تطرح في ظروف القمع و الإرهاب مهمة شاقة على الثوريين الحقيقيين.

+++++

تعرض التوضيح لمسألتي الوحدة بين فصائل الحركة الماركسية-اللينينية و مسألة الصحراء الغربية كذلك. و فيما يخص المسألتين ، أعتبر أن عددا من وثائق المنظمة تجيب عليها باستفاضة خاصة في أرضية المهمات المستعجلة. و يمكن أن أطرح خاتمة لهذا الرد على طروحات أصحاب التوضيح. إن الرد كان هدفي منه هو إبراز خطأ هذه الطروحات في نقط محددة تعد حساسة في الوضع الحالي لحركة ثورية ماركسية-لينينية مغربية ، هذا من جهة ، و من جهة ثانية الرغبة في المساهمة في الصراع الديمقراطي بين كل اللذين لا يزالون مقتنعين بالبروليتاريا و حتمية انتصارها ، و خاصة بالنسبة لمناضلين مثلي في "إلى الأمام" ، يسعون إلى تفهم الخلافات الدائرة في صفوف الثوريين ، و بين منظماتهم و خصومها السياسيين من انتهازيين من كل التلاوين ، و ذلك بغية الفعل في الصراع و تشكيل قناعات على أساسه ، قناعة مشتركة داخل منظمنا.

إن القضايا التي تم التركيز عليها في هذه المحاولة المتواضعة ، عمدت إلى أطروحات داخل التنظيمات الماركسية-اللينينية المغربية و على رأسها "إلى الأمام" ، و اعتماد تحليل حاولت إبراز أسسه النظرية بتحديدته بالاقصادية ، حيث يرى أن مهمة الثوريين الحالية هي النزول إلى الطبقة العاملة ، و اعتبار مهمة بناء الحزب هي مهمة البروليتاريا و انطلاقا من واقعها المادي لوحده ، هذا الواقع الذي سيدفع بها إلى بناء الحزب ، و ما على الثوريين إلا الاندماج بطلائعها. و لقد حاولت ما أمكنني تبيان أن هذا الفهم هو انحراف و ضرب لرصيد المنظمة الكفاحي و لتجربة البروليتاريا العالمية و عدم فهم لطبيعة و أهمية دور إعادة بناء منظمة صلبة و راسخة جماهيريا و ما هي حدود العملية و أهدافها.

و من جهة ثانية ، و على المستوى السياسي ينظر أصحاب التوضيح للعفوية ، إذ أن هذا الحزب البروليتاري سيترعع أو ربما سيبزغ من نضال البروليتاريا الاقتصادي لوحده ، مركزين ذلك في مقولة "البروليتاريا هي التي تخلق حزبها".

إن هذه النظرية العفوية ، هي تجسيد سياسي للنظرية الاقتصادية في فهم الواقع المعقد في بلادنا ، و الذي تتشابه خيوطه و تتداخل ، فيها واقع الطبقة العاملة المضطهدة و إمكانيات و عيها الحسي بذلك ، و الإيديولوجية البورجوازية الصغيرة التي تريد لها البقاء في حدود سقف النضال الاقتصادي لا غير ، الشيء الذي لا يجعل البروليتاريا تسير في اتجاه الوعي الذي يريد لها أصحاب البيان ، بقدر ما يتخلف هذا الوعي في غياب منظمة ثورية من المحترفين الثوريين تجعل على عاتقها مهمة الرفع من وعي البروليتاريا إلى مستوى الوعي الحزبي و عيا طبقيا في النهاية.

إن تأكيدي هنا على نظرته العفوية لن يخدم في النهاية إلا البورجوازية كما أوضحت في الرد.

و على المستوى التنظيمي تسود مفاهيم الفوضوية ، حيث ينكر أصحاب التوضيح أهمية المبادئ اللينينية في التنظيم ، من مركزية ديموقراطية⁴⁰ و انضباط و تربية على العلاقات الحزبية ، و يطرحون بدائل في العلاقات غامضة و منحرفة ، تبين أبسط ما تبين ، خوف البرجوازيين الصغار الذين عجت بهم تجربة المنظمة والحركة من الانضباط. إن فهمها فوضويا في ميدان التنظيم هو ضرب لأهم مكتسب بيد البروليتاريا و سلاحها القوي ، رغم الحديث العام عن أهمية الحزب و دوره في التوضيح.

وعلى مستوى أساليب العمل حسب التوضيح ، هو سيادة التجريبية كما أوضحت ذلك في نقد الأسس و العلاقات التي يتصورها أصحابنا بين " المثقفين الثوريين " .

إن كل هذه الأطروحات تصب في اتجاه تصفية الرصيد الكفاحي للمنظمة⁴¹ ، و رد فعل برجوازي صغير على العلاقات

40 . من سخرية التاريخ سيصبح صاحب المقال ، أحد أشد الأعداء للمبادئ اللينينية ، و سيكون رأس حربة في محاربة الخط الماركسي – اللينيني الثوري ، و سيقوم بالتأسيس للتحريفية الجديدة داخل المنظمة و خارجها بالمغرب.

41 . بعد بحث دقيق و مضني تعذر علينا إدخال هذا الفصل ضمن سياق الوثيقة ، و هو بالمناسبة جزء أصيل منها لكنه غير مكتمل إما لضياع بقيته أو ربما لعدم اكتماله ، و احتراما للأمانة الفكرية قررنا نشره هنا كملحق بعدما تأكدنا أن جل النقط المسطرة في بدايته قد تم التطرق لها في الوثيقة ، ما عدا هذا الجزء الخاص بالمركزية الديموقراطية الغير الكامل ، و عليه ارتأينا أن نضعه كملحق للوثيقة تعميما للفائدة و احتراماً للنزاهة الفكرية.

الملحق

علاقات جديدة بديلا عن المركزية الديموقراطية

في الجزء الثاني من التوضيح نجد النقط التالية:

1- المركزية الديموقراطية. 2-إعادة البناء. 3-الوحدة. 4-الصحراء.

و هذه النقط لا يعتبرها التوضيح متجليات لأزمة الحمل على عكس ما فعل بيان يونيو ، و لذلك فهو يوضح الأسس التي جعلت أصحابه لا يرون هذه المتجليات قائمة ، و من جهتي أناقش ما أجد نفسي في تعارض معه.

1-المركزية الديموقراطية:

يقول التوضيح: "...و رغم الغموض الذي يحيط بالتطورات التي عرفها هذا المبدأ على مدى تجربة الحركة الشيوعية العالمية ، فإنه يبقى مبدءا لينينيا قام على أساسين هما:

- الضرورات التي تفرضها شروط النضال السياسي الثوري للبروليتاريا ضد أعدائها الطبقيين.

- التجسيد للعلاقات البروليتارية داخل التنظيم الحزبي للبروليتاريا..."

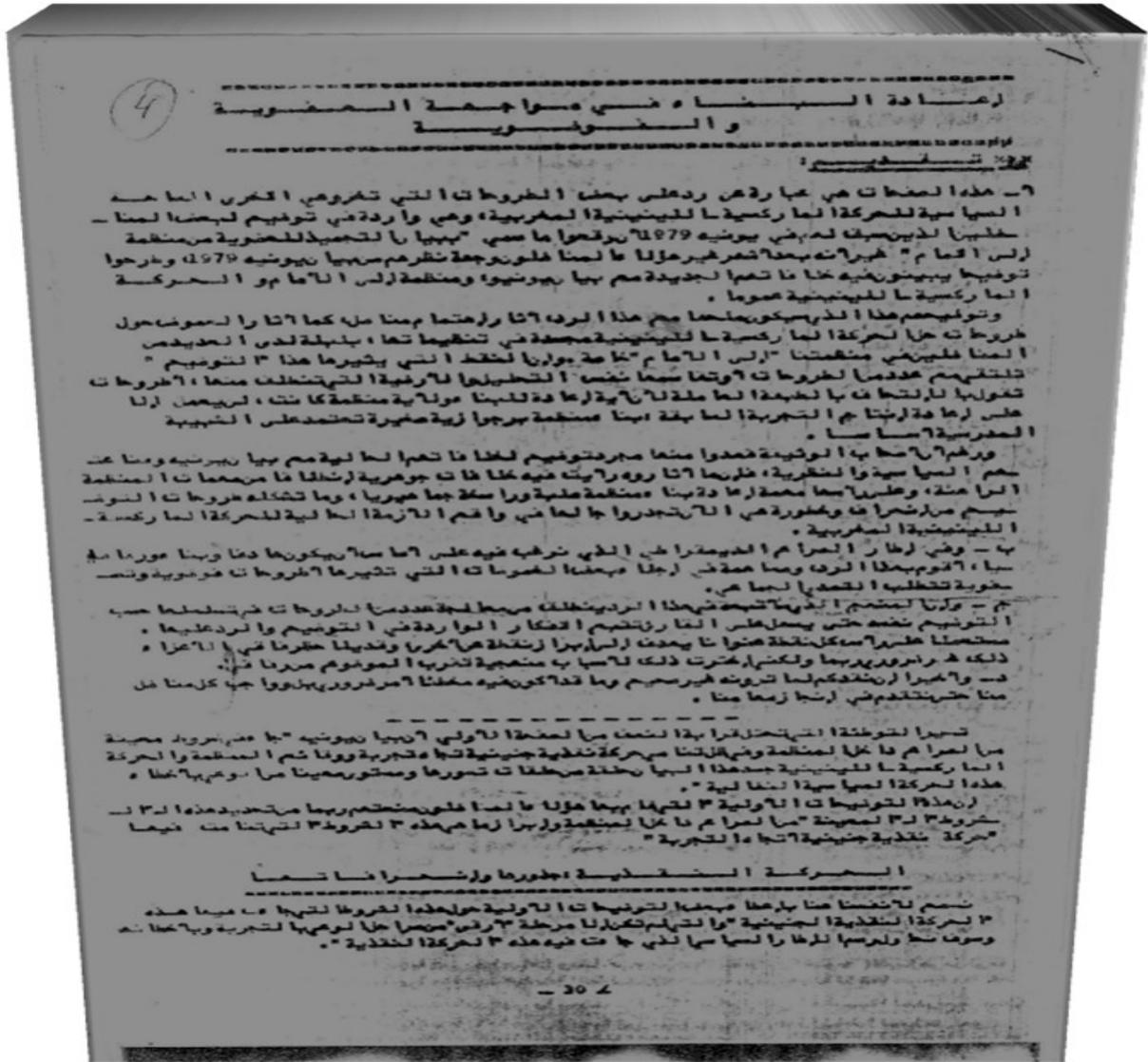
أعقب على هذا الأمر: يعرف رفاقنا ربما أن لينين وضع اللبنات الأولى لهذا المفهوم الذي يعتبره أصحابنا مبدءاً للعلاقات البروليتارية منذ عام 1902 ، و يعرف رفاقنا بأن جماعة الإسكرا بل و الحزب الاشتراكي الديموقراطي ليسوا كلهم بروليتاريين منذ ذلك الحين ، و مع ذلك ، كانت هذه العلاقات هذه مجرد ملاحظة بسيطة. يضيف التوضيح: " لهذا فالمركزية الديموقراطية لا يمكن اختزالها أو ممارستها من خلال بضعة قوانين جامدة و ثابتة أو على شكل وصفات جاهزة تطبق وفقا للرغبات الذاتية للأفراد أو التنظيمات ، و إنما هي مبدءاً له مضمون سياسي و إيديولوجي طبقي قبل أن يكون مبدءاً تنظيميا ، و لا يمكن تطبيقها حتى وسط الطليعة البروليتارية إلا في مستوى متقدم من تطور الحركة العمالية و نضالها السياسي الثوري و تقدم مستوى و عيها الطبقي.. نحن أيضا نعتبر بأن المركزية الديموقراطية ليست مبدءاً تنظيميا ، كما نعتبرها إفرازا من إفرازا نضال البروليتاريا عبر تاريخها النضالي ، و هي كذلك إحدى المكتسبات الجوهرية لأي عمل سياسي شريطة تجسيدها الحي و الخلاق في واقع الممارسة النضالية. و هي قبل كل هذا ذات مضمون طبقي ، فهي تجد أسسها المادية في المزايا التاريخية التي تكتسبها الطبقة العاملة من نمط حياتها الإنتاجية و دورها في علاقات الإنتاج ، تلك المزايا التي تقوم على:

-العمل الجماعي و تقسيم العمل الذي يعني الابتعاد عن الفردية و ما يخلقه من أنانية و فردية و فوضوية.

-الوحدة المتزايدة باستمرار للمصالح النهائية للبروليتاريا و التماسك الداخلي بين صفوفها لمواجهة الاستغلال الطبقي الذي يقوم به أعداؤها الطبقيين.

-الانضباط الصارم و روح المثابرة و الصبر و طول النفس الذي يميزها كطبقة لها مصلحة قصوى في الثورة ، نظرا لكونها في مواجهة دائمة مع المستغلين و المضطهدين.

التي عرفتها تجربة المنظمة و الحركة عموما. وهي انحراف في صفوف من يريدون فعلا العمل داخل الحركة العمالية المغربية ، و خدمة أهدافها الاستراتيجية و المرحلية. و أسجل في النهاية ، بأن هذه المساهمة المتواضعة جدا قد يكون فيها من الثغرات هي الأخرى الشيء الكثير ، ولكنني أمل أن تكون بقدرها الضئيل حبة زيت في فتيل الصراع السياسي و الإيديولوجي الديمقراطي الهادف لتقديم مسيرتنا الثورية.



مناضل

هكذا نرى المركزية الديمقراطية. هل طبقنا بشكل سديد المركزية الديمقراطية في تجربتنا كمنظمة؟ أجب ب "لا" إننا لم نتعامل مع المركزية الديمقراطية بشكل حي و خلاق في واقع التجربة. فالمركزية انطلقت من منطلق صحيح هو وحدة الفكر و الممارسة و الإرادة داخل المنظمة ، و لكن مارسنا هذا المنطلق بطريقة و أساليب خاطئة. فالوحدة ظلت بالنسبة لنا داخل المنظمة قائمة بطرد التناقض و طمس طابعه الجوهري ، فعملنا في الممارسة على بناء منظمة مبنية على الفكر الوحيد. و اليوم ندرك بمزيد من العمق أن شرط الوحدة الصحيحة داخل المنظمة يفترض المركزية الديمقراطية..